

الفصل الثالث

عملية التنشئة وعلاقتها بالمشاركة السياسية

- مقدمة.
- أولاً : قنوات التنشئة وأثرها على المشاركة السياسية.
 - أ - الأسرة وأثرها على المشاركة السياسية.
 - ب - المؤسسة التعليمية وأثرها على المشاركة السياسية.
 - ج - المؤسسة الدينية وأثرها على المشاركة السياسية.
 - د - وسائل الإعلام وأثرها على المشاركة السياسية.
 - هـ - الأحزاب السياسية وأثرها على المشاركة السياسية.
- ثانياً : الثقافة السياسية..علاقتها بالتنشئة وأثرها على المشاركة.
 - أ - مفهوم الثقافة السياسية.
 - ب - أبعاد الثقافة السياسية ومكوناتها.
 - ج - التنشئة وعلاقتها بالثقافة السياسية.
 - د - الثقافة السياسية وأثرها على المشاركة السياسية.

مقدمة :

لاشك أن المنبهات السياسية المختلفة التى يتعرض لها الفرد هى التى تدفعه إلى الاهتمام والانفعال بالقضايا، ومن ثم المشاركة السياسية. ومدى استجابة الفرد للمنبهات السياسية يتوقف أساساً على القيم والاتجاهات والمعارف لدى الفرد من خلال تنشئته المبكرة. فهناك علاقة قوية تربط بين التنشئة الاجتماعية للأفراد واتجاههم نحو المشاركة السياسية، حيث إن مشاركة الفرد فى الحياة السياسية تتوقف جزئياً على كم ونوعية المنبهات السياسية التى يتعرض لها غير أن مجرد التعرض للمنبه السياسى لا يكفى وحده لدفع الفرد إلى المشاركة السياسية، وإنما لابد أن يتوافر لديه أيضاً قدر معقول من الاهتمام السياسى، وهو ما يتوقف على خبرات تنشئته المبكرة^(١). أيضاً تتوقف ممارسة الفرد لسلوك المشاركة - كعملية مكتسبة - على توافر القدرة والدافع لدى الفرد، والفرص التى يتيحها المجتمع بتقاليده وأيديولوجياته وكذا الظروف التى تحددها طبيعة المناخ السياسى والاجتماعى والاقتصادى السائد فى المجتمع^(٢). ومن هنا تبرز أهمية التنشئة ودورها فى خلق وتكوين سلوك المشاركة.

حيث تعمل التنشئة الاجتماعية من خلال قنواتها المختلفة على تزويد الفرد بالمبادئ العامة للسلوك، وكيفية تفاعله مع الآخرين فى المجتمع، عن طريق ما تلقنه إياه من قيم واتجاهات وقواعد ارتضاها ذلك المجتمع لأعضائه. وطالما أن الإنسان يتفاعل مع المجتمع كبناء كلى، وباعتبار أن النسق السياسى يمثل أحد مكونات هذا البناء، فإن التنشئة الاجتماعية هى المسئولة عن تلقين هذا الفرد القيم والاتجاهات السياسية السائدة، والدور الذى يفترض أن يؤديه تجاه المجتمع، وهذا ما يطلق عليه عملية التنشئة السياسية.

وفى هذا الإطار يؤكد كثير من الباحثين على أن التنشئة السياسية **Political Socialization** للأفراد ترتبط بالتنشئة الاجتماعية على اعتبار الأخيرة إحدى الأحداث الرئيسية للتنشئة السياسية. فالإنسان السياسى يصنع ويتشكل اجتماعياً قبل أن يبدأ ممارسة السياسة، ونوع وطبيعة التنشئة الاجتماعية أولاً والسياسية ثانياً التى يتلقاها المواطن هى التى تحدد سلوكه السياسى وتحكم نظرتة لنفسه وللمحيط الذى يشتغل فيه^(٣).

ولما كانت التنشئة السياسية - باعتبارها عملية نقل وزرع قيم واتجاهات سياسية - تبدأ فى سن مبكرة من حياة الإنسان وتستمر طوال حياته، فإن السلوك السياسى للفرد فى مرحلة النضج يتحدد جزئياً بجرعات التنشئة التى يتلقاها فى مرحلة الطفولة للمراهقة. فالإنسان فى مختلف مراحل حياته يعيش مؤسسات عديدة بعضها مفروض عليه كالأسرة على سبيل المثال، وبعضها الآخر إرادى يضم إليه طوعاً دون ما ضغط، وفى كل هذه المؤسسات يتلقى خبرات يختزنها فى ذاكرته لتساهم بطريق مباشر أو غير مباشر فى تحديد موقفه السياسى^(٤).

ولكى تحقق التنشئة السياسية المشاركة السياسية الصحيحة فلا بد أن يكون للدولة ومؤسساتها دور قوى فى تفعيل مشاركة الشباب فى صنع القرار، وفى المقابل يكون الشباب على وعى بكافة المتغيرات التى تحيط بهم، ويكون لديهم الإيمان بأهمية دورهم فى صنع القرار، وأن يكون لديهم قناعة بقدرتهم على التغيير^(٥).

(١) السيد عليوة، منى محمود، المشاركة السياسية، الموسوعة السياسية للشباب، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٠م، ص ٥٩.

(٢) طارق محمد عبد الوهاب، سيكولوجية المشاركة السياسية، مرجع سابق، ص ١٥، ١٦.

(٣) إبراهيم إبراش، علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٤) عبد الهادى الجوهري وآخرون، دراسات فى علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ٨١.

(٥) السيد عليوة، تنشئة الشباب - الواقع والآفاق، فى مجلة الديمقراطية، مرجع سابق، ص ١٥٧.

وإذا كان البعض ينظر إلى المشاركة السياسية على أنها عملية سياسية بالدرجة الأولى، إلا أن الواقع يشير إلى عكس ذلك. فعملية المشاركة بوجه عام، والمشاركة السياسية بوجه خاص تعد عملية سوسيولوجية. حيث تحدث نتيجة وجود الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه، ويتفاعل ويتعامل مع الآخرين^(١). ومن هذا المنطلق ترتبط المشاركة السياسية -في إطارها السوسيولوجي- بالعديد من العمليات الاجتماعية التي تؤثر فيها وتتأثر بها.

وتحاول الدراسة الراهنة الربط بين المشاركة السياسية وبين عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية من خلال دراسة تأثير قنوات التنشئة الاجتماعية في عملية المشاركة السياسية، وإبراز الدور الذي تقوم به في تشكيل الوعي السياسي للأفراد. وكما يؤكد أحد الباحثين "أن السلوك السياسي يعد امتداداً للسلوك الاجتماعي"^(٢). هذا السلوك الذي يتعلمه الإنسان من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية.

وانطلاقاً من أن لكل تنظيم إنساني -سواء كان جماعة أو مؤسسة أو مجتمعاً محلياً أو تجمعاً- معان وقواعد سلوكية وأدوات تساعد في تحقيق أهدافه وحل مشكلاته، وينتج عن هذه النشاطات ما يسمى بالثقافة^(٣). وإذا ما تم الربط بين المشاركة السياسية والثقافة السياسية باعتبارها أحد أشكال الثقافة العامة للمجتمع يتضح أن دراسة السياسة تشير بالضرورة إلى دراسة الثقافة السياسية، أي كيف يفكر الناس؟ وما شعورهم بالنسبة للعالم السياسي؟ وما اعتقاداتهم؟ وما الذي يؤمنون به؟ وكيف يتصرفون؟ وكيف تتوزع كل هذه المعتقدات وطرائق السلوك والمشاعر بين الجماعات داخل المجتمع؟^(٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإجابة على التساؤلات السابقة تقدم الدليل على العلاقة القوية والمتبادلة بين المشاركة السياسية والثقافة السياسية السائدة في المجتمع. وفي هذا الإطار تحاول الدراسة الحالية الربط بين المشاركة السياسية والثقافة السياسية من خلال استعراض مفهوم الثقافة السياسية ومكوناتها، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على العلاقة بين الثقافة السياسية وعملية التنشئة والدور الذي تقوم به هذه الثقافة في التأثير على المشاركة السياسية وتحديد أبعادها ودرجتها.

(١) على طلبة محمد، المشاركة ودورها في تنمية القرية المصرية، دراسة سوسيولوجية بقرية الطواد وتوابعها بمحافظه قنا، رسالة دكتوراه، آداب قنا، ١٩٩٩م، ص ١٢.

(٢) صابر محمد عبد ربه، الاتجاهات النظرية في تفسير الوعي السياسي، الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٢م، ص ٩.

(٣) إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، عمان: دار الشروق، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٥٥.

(٤) محمد نصر مهنى، مدخل إلى النظرية السياسية الحديثة، الإسكندرية: فرع الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٣٤٣.

أولاً: قنوات التنشئة وأثرها على المشاركة السياسية :

تلعب قنوات ومؤسسات التنشئة دوراً هاماً في عملية المشاركة السياسية للأفراد، وذلك باعتبارها المسؤولة عن تلقين هؤلاء الأفراد القيم والاتجاهات السياسية السائدة في المجتمع، وتحديد طبيعة السلوك المفترض أن يقوموا به تجاه النظام السياسى، ودورهم في العملية السياسية، من خلال مشاركتهم الواعية في الحياة السياسية.

وطالما كانت هذه القنوات هي المسؤولة عن تحديد العلاقة بين الفرد والنظام السياسى، فإنها تعد في نفس الوقت قنوات للمشاركة السياسية يعبر من خلالها الفرد عما تعلمه منذ الطفولة وفي مراحل عمره اللاحقة، وفي هذا الإطار فسوف تتعرض الدراسة الحالية لهذه القنوات وإبراز الدور الذى تلعبه في غرس القيم والاتجاهات السياسية السائدة في المجتمع.

(أ) الأسرة وأثرها فى عملية المشاركة السياسية :

من المعلوم أن نظام الأسرة في أمة ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات هذه الأمة وتقاليدها وعرفها الخلقى وتاريخها، وما تسير عليه من نظم في شئون الاقتصاد والسياسة والتربية والقضاء .. وما إلى غير ذلك من قوى ثقافية مؤثرة في المجتمع^(١). فالأسرة أول غط للسلطة يعايشه الطفل، وتؤثر طريقة ممارسة هذه الأسرة للسلطة على قيمه واتجاهاته، فإذا كان الأب شخصاً سلطوياً في علاقته بأفراد أسرته، فمن المحتمل أن تتأكد لدى الأبناء قيم الإكراه والسلبية الفردية. وفي المقابل إذا تميز الأب بالديمقراطية فإن قيم الحرية والاهتمام والجماعة يمكن أن تجد طريقها في نفوس الأبناء^(٢).

ويتم تعزيز هذه القيم في نفوس الأبناء -سواء كانت سلبية أم إيجابية- من خلال الدور الذى يقوم به الوالدين، وفي هذا الإطار فإن الانضباط الشخصى الذى يلعب الأب دوراً مهماً في تلقينه للطفل وتحديد خريطة ما هو مقبول، وما هو ممنوع، لا يستطيع الطفل أن يكون علاقات جيدة مع السلطة في المجتمع عندما يكبر. فالأوامر والنواهي الاجتماعية إن لم يتعرف عليها الطفل لا يستطيع أن يقبلها بعد ذلك، حيث كانت كل طلباته مجابة وكل ما يفعله مقبولاً، فهو لا يقبل بعد ذلك أى تحديد لهذا السلوك، وعند ذلك فإنه يقاوم أى سلطة تريد أن تحد من شهواته. والخطورة لا تكمن هنا فقط، فعندما يوضع وهو رجل في موضع يحتاج فيه إلى ممارسة الانضباط سيجد ذلك صعباً، فالسلطة مطلوبة بحب وبحزم من الوالدين تجاه الطفل، والطفل الذى بهذه "التوليفة" يشب قادراً على اتخاذ القرار بعد الحوار حوله وعندما يتخذها يقوم بتطبيقه بجديّة، وهذا هو المطلوب في السلوك السوى^(٣).

فالأطفال يتأثرون بالاتجاهات والأفكار السياسية التى يحملها الآباء حيث يساهم الوالدين في تنمية أحاسيس إيجابية، وذلك من خلال المشاركة النشطة في الشئون السياسية، وفي الأمور التى تخص المجتمع وتوضيح ذلك للأطفال. ويقترح داوسن^(٤). ثلاثة عوامل تحدد تأثير الأسرة في نقل التوجهات السياسية إلى الأبناء، وهذه

(١) محمد سالم إبراهيم، دراسة تحليلية لدور الأسرة في رعاية الطفولة من وجهة نظر التربية الإسلامية، في المؤتمر الثالث للطفل المصري، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

(٢) مصطفى رجب، بعض أنماط التربية الأسرية الشائعة في محافظة سوهاج، مجلة كلية التربية بسوهاج، مرجع سابق، ص ٦٧٦.

(٣) حسن أحمد الحولى، دراسات في علم الاجتماع العائلى، مرجع سابق، ص ٣٣٣.

(٤) ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، مرجع سابق، ص ١٦٦، ١٥٦.

العوامل تتمثل في :

١- وجود مواقف سياسية للوالدين ودرجة توضيحها لأبنائهم.

٢- ثبات وتوافق توجهات الوالدين.

٣- العلاقة بين الوالدين والأبناء.

وجدير بالذكر أن الالتزام الديني والخلقي داخل الأسرة يحقق التوازن النفسي والاجتماعي للطفل والشباب^(١)، ويتحقق هذا التوازن من خلال اعتماد الطفل على نموذج القدوة. والى يشير أحد الباحثين إلى أنها تعتبر أقوى أثراً في تأثيرها على الفرد من أساليب الثواب والعقاب والإرشاد اللفظي^(٢).

وبشكل عام يمكن القول أن نمو مدركات الطفل من خلال معاشته لأسرته يتوقف إلى حد كبير على مدى الوعي السياسي في الأسرة من ناحية، ومدى وعيها بأهمية التنشئة السياسية لأطفالها من ناحية أخرى^(٣). فالأسرة -كما سبق الذكر- تتولى عملية نقل التوجهات السياسية إلى الأبناء وذلك عن طريق الوالدين، حيث تعد الأسرة أفرادها للحياة السياسية من خلال تشكيلها لتوجهاتهم حول تقييم الذات وبناء الشخصية، والقيم الشخصية والاجتماعية التي لها علاقة بتطوير وتنمية التوجهات السياسية المحددة، بناءً على هذا فإن الأسرة تمثل المحيط الذي ينمو في إطاره التفكير السياسي^(٤).

وإذا ما انتقل الحديث عن واقع الأسرة المصرية يمكن القول أن تطور المجتمع قد أثر على وظائف العائلة في مراحل التطور الاجتماعي المختلفة، فكان أن سلم بعض وظائفها إلى مؤسسات فكرية واجتماعية، بينما تأكد قيامها بوظائف أخرى أساسية منها تنظيم الزواج والتكاثر والتنشئة الاجتماعية، وتأمين الاستقرار النفسي للأفراد^(٥). وقد أشار "أحمد فاروق" -في سياق دراسته عن الاغتراب السياسي بين الشباب المصري- إلى هذه المسألة حيث أوضح أن الأسرة المصرية مازالت مشغولة بالكثير من الأعباء الأساسية الكفيلة بأبعادها عن الخوض في الاهتمامات السياسية، فضلاً عن غلبة الأمية على قطاع كبير من الآباء، ومن ثم تدنى وعيهم السياسي وضحالة ثقافتهم السياسية، والتي هي في الغالب من النمط المحافظ الذي يترع إلى الحفاظ على ما هو قائم ويخشى التغيير، بعكس الأبناء الذين هم أكثر ثقة وأكثر نزوعاً للتغيير^(٦).

ويتفق هذا مع ما ذهب إليه "رجب البنا" من أن العلاقات داخل البيت المصري -وعبر مراحل التاريخ المصري الطويل- كانت انعكاساً لصورة وأوضاع المجتمع. فالأب يمارس السلطة بنفس الأسلوب الذي تمارسها به الدولة، حيث يعطى لنفسه حق الانفراد بالقرار، وما على الرعية إلا "السمع والطاعة". فالأب يحتكر السلطة ويحولها إلى تسلط فلا يسمح لغيره إلا بالسمع والطاعة، ولا يعترف بحق رعيته في المشاركة، فيتحولون عبر الزمن إلى كائنات سلبية منقادة أو رافضة وعدوانية^(٧). وهو ما يؤدي إلى حدوث فجوة بين الأسرة -كمؤسسة للتنشئة

(١) محمد يسرى دعبس، الإرهاب والشباب، رؤية في أنثروبولوجيا الجريمة، الإسكندرية: بلون دار نشر، ١٩٩٦م، ص ٢٤٨.

(٢) إبراهيم أحمد النجار، نحو دور فاعل للثلاثية السياسية، مجلة الديمقراطية، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(٣) مصطفى رجب، مجلة كلية التربية، مرجع سابق، ص ٦٧٧.

(٤) ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، مرجع سابق، ص ١٧٤، ١٧٣.

(٥) محمد صفوت الأخرس، تركيب العائلة العربية ووظائفها، دراسة ميدانية للعائلة السورية، في لويس ملبكة (محرر) قراءات في علم النفس الاجتماعي في الوطن العربي، المجلد الثالث، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ١٢٧.

(٦) أحمد فاروق، عوامل الاغتراب السياسي بين الشباب في المجتمع المصري، دراسة ميدانية مقارنة، رسالة دكتوراه، آداب المنيا، ١٩٩٢م، ص ١٨٧.

(٧) رجب البنا، البحث عن المستقبل، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٧٧.

الاجتماعية والسياسية- من جهة، وبين المجال الاجتماعي ك نطاق لتجريب مضمون هذه التنشئة من جهة أخرى.

ومن ثم فقد يستوعب الشاب قيماً إلا أنه يكتشف أنها غير صالحة للتداول في المجال الاجتماعي، ومن ثم إذا فشل في التوفيق بين قيم الأسرة ومعايير المجال الاجتماعي فقد يحدث الانسحاب من المجتمع تجنباً للمعاناة، وهنا نجد أن الشاب يفقد أى التزام اجتماعي^(١). ومن ثم وكرد فعل تجاه هذا الوضع يعزف الشباب عن المشاركة في الحياة السياسية، وعدم الاكتراث بالعملية السياسية برمتها.

وأخيراً يمكن القول أن الأسرة تلعب دوراً هاماً في تلقين الأفراد القيم والاتجاهات السياسية السائدة في المجتمع، وكذلك السلوك المفترض القيام به تجاه هذا المجتمع، وذلك من خلال تقديم كافة المثيرات السياسية والتي تدفعهم إلى المشاركة السياسية وتحدد بشكل كبير سلوكهم السياسي. فهي وكما يشير البعض "الوكالة الرئيسية للتنشئة السياسية، فالأطفال غالباً ما يكتسبون فيها بطريقة تدريجية وآلية المعرفة حول الاتجاهات والقيم المتعلقة بالسياسة"^(٢).

(ب) المؤسسة التعليمية وأثرها على المشاركة السياسية :

يعتبر التعليم المدني أحد القضايا متزايدة الأهمية في بداية القرن الحادى والعشرين، وذلك لاعتبارات عديدة -اقتصادية واجتماعية وثقافية- ويعنى التعليم المدني -أو التعليم السياسى بمصطلح آخر- التشكيل الثقافى للفرد بهدف تكوين المواطن وإشاعة الديمقراطية وترسيخ التنمية المتواصلة، وهكذا ينتج التعليم المدني المواطن المشارك المتطور في إطار حكم صالح يشكل شروطه ومقوماته^(٣). فمما لا شك فيه أن المؤسسة التعليمية تؤثر بشكل كبير على تصورات وإدراك المواطن للمحيط السياسى الذى يعيش فيه ويتفاعل معه. وإدراكاً لأهمية التعليم لجأت كل دول العالم إلى جعله -خاصة في مراحله الأولى- تعليماً رسمياً، وليس ذلك خدمة للمواطن فقط ولكن أيضاً رغبة من الدولة في التحكم في مناهج التعليم ليضمن النظام السياسى أن المدرسة لم يقتصر دورها على التأطير وتلقين المعرفة، بل ستعمل على إعادة إنتاج المجتمع، وتدعيم النظام الاجتماعى/السياسى القائم وذلك بشرعنة مسلماته ومركزاته الأساسية^(٤).

وإذا ما تم التحدث عن الدور الذى تلعبه المؤسسة التعليمية في التأثير على توجهات الأفراد نحو المشاركة في الحياة السياسية، يمكن التمييز بين نوعين من التعليم والتوجيه السياسى وهما : تعليم المواطنة والتلقين السياسى الأيديولوجى. وطبقاً لاقتراح "كولمان" J. Coleman فإن تعليم المواطنة Civic Training هو ذلك الجزء من التعليم السياسى الذى يؤكد على كيفية مشاركة المواطن الجيدة في الحياة السياسية لأمتة ووطنه، أما التلقين السياسى الأيديولوجى Political Indoctrination فيهتم بتعليم أيديولوجية سياسية معينة بقصد تبرير وقبول نظام حكم معين^(٥).

ويشير بعض الباحثين إلى أن المؤسسة التعليمية تلعب دوراً هاماً في التأثير على الوعى السياسى للطلاب

(١) على ليلة، الشباب العربى، تأملات في ظواهر الإحياء الدينى والعنف، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣م، ص ٧٧.

(2) R. Geoffery, Op.Cit., p. 190.

(٣) السيد علوية، حكومة الغد والتعليم المدن، مجلة الديمقراطية، العدد الثالث، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠١م، ص ١٦٠.

(٤) إبراهيم إبراش، علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٥) ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، مرجع سابق، ص ١٨٥، ١٨٦.

ودفعهم نحو المشاركة السياسية من خلال مجموعة من الأهداف تسعى إلى تحقيقها^(١). وتتمثل فيما يلي :

١ - إكساب الفرد المعارف المختلفة حول الأنظمة السياسية المختلفة ومفهوم الدولة وحدودها، ومفهوم القوة الفيزيائية ودورها في الحفاظ على كيان الدولة وحقوقها من العدوان الخارجي، ونظامها الاجتماعي.

٢ - إكساب الفرد المهارات العقلية والحركية التي تمكنهم من الوصول إلى درجة من المواطنة، تساهم في حماية كيان الدولة من الاعتداء الخارجي، ودعم النظام الاجتماعي القائم.

٣ - إكساب الطلاب الاتجاهات الإيجابية نحو قيم النسق السياسي المختلفة من مواطنة وديمقراطية والانتماء السياسي والنقد الذاتي.

٤ - إكساب الفرد الميول التي تدفعه نحو الممارسة السياسية، والدفاع عن وجهة نظر يشكلها ويتبناها.

ويضيف البعض إلى الأهداف السابقة، أهداف أخرى تتمثل في :

٥ - إن للمؤسسة التعليمية دوراً هاماً في تدعيم الاتجاهات والقيم والمعتقدات المتعلقة بالنظام السياسي، من خلال إعطاء الطفل المحتوى والمعلومات التي من شأنها توسيع وصقل مشاعر الطفل المتعلقة بالارتباط بالوطن والامتثال للقانون والسلطة ولوائح المدرسة^(٢).

٦ - وفيما يخص المراهقين، فإن اتجاههم نحو التعليم يؤدي إلى رفع مستواهم الفكري والثقافي، والذي بدوره ينمي وعيهم السياسي ويلفت انتباههم نحو الجوانب السلبية في الحياة اليومية، فيسلطون نقدهم عليها، واتخاذهم مواقف مناهضة للنظام السياسي القائم، وما يرتبط به من مؤسسات^(٣).

ولقد لخص "كي" V.O.Key نتائج الأبحاث الأمريكية المتعلقة بتأثير التعليم على التوجهات السياسية للأفراد على النحو التالي :

1- الأشخاص ذوو التعليم الجيد يشعرون بصورة أقوى بواجب المشاركة في الحياة السياسية للدولة أكثر من الأشخاص الأقل تعليماً.

٢ - المواطن المتعلم أكثر عرضة لأن يشعر بقدرته على التأثير في العملية السياسية وأن المسؤولين الحكوميين يقدرونه ويقدرونه وجهة نظره كما يشعر أن قنوات الوصول إلى القوة السياسية مفتوحة أمامه.

٣ - كلما زاد تعليم المواطن كلما زاد اهتمامه ومشاركته في الأمور السياسية.

٤ - يرتبط التعليم ارتباطاً قوياً بالنشاط السياسي، فالأفراد الأكثر تعليماً يصوتون بدرجة أعظم كما أنهم يشاركون في الجوانب الأكثر مشقة من المشاركة السياسية مثل الدعاية الانتخابية، وخدمة حزب سياسي معين، والتبرع المادي^(٤).

فالأفراد المتعلمون أكثر وعياً وإدراكاً بتأثير الحكومة على حياتهم ويظهرون اهتماماً أكثر بأمور السياسة

(١) عبد الفتاح تركي وآخرون، مفاهيم أساسية في التربية، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) هدى محمد قناوى، الطفل تنشئته وحاجاته، مرجع سابق، ص ٦٤ ، ٦٥.

(٣) معن خليل عمر، علم المشكلات الاجتماعية، عمان: دار الشروق، ١٩٩٨م، ص ٢٤٠.

(٤) ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، مرجع سابق، ص ٢١٥ ، ٢١٦.

ولديهم معلومات أكثر عن العمليات السياسية، وهم أكثر كفاءة من غيرهم في سلوكهم السياسي^(١).

ومن هذا المنطلق يتبين مدى التأثير الذى يمارسه التعليم فى خلق المواطن الصالح الواعى الذى يمكنه المشاركة بطريقة إيجابية فى تطوير بيئته، والذى يشير بعض الباحثين إلى أنه يتوقف على الإطار السياسى والاجتماعى والاقتصادى الذى يجعل من التعليم قوة دافعة^(٢). فكثيراً ما يقدم التعليم مجموعة كبيرة من الرموز التى تهدف إلى تعزيز المجتمع القومى عن طريق التلقين السياسى المقصود، وكذلك عن طريق مقررات المواد الإنسانية والتقليدية وبصفة خاصة عن طريق التاريخ والجغرافية والأدب^(٣). ففى سعى التعليم المتواصل إنما يهدف إلى طبع الأفراد بطابع خاص يؤدى بهم إلى نوع معين من السلوك يطابق تقاليد المجتمع، ويتمشى مع روحه حتى يستطيع الفرد مع الزمن أن يكون ذا رأى خاص فى حكمه على الأشياء دون تحيز أو محاباة^(٤).

وفى هذا الاتجاه يعد التعليم من أكثر المتغيرات ارتباطاً بالمشاركة السياسية، ذلك أنه يساعد جزئياً على تنمية الإحساس بالواجب المدنى، والاهتمام بالمصلحة والكفاءة والمسئولية. ويتبنى فى الوقت ذاته خصائص شخصية معينة لازمة للمشاركة وهى الثقة بالنفس والسيطرة والتمييز والفصاحة، كما تقوم المؤسسة التعليمية ذاتها بدور المواقع الاستراتيجية التى يكتسب الفرد فيها مهارات المشاركة، حيث يتعلم كيفية الانضمام إلى التنظيمات وأهمية إنجاز الواجبات والمشاركة فى الاجتماعات، ومناقشة المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية الهامة^(٥).

ومن هنا تكمن الأهمية السياسية للتعليم فى أنه يساعد على خلق المواطن البصير لأصول بلاده، المتفهم لمشكلاتها، العارف بحقوقه وواجباته الحريص على أدائها وممارستها^(٦). وبالتالى المشاركة الفعالة فى شئون مجتمعه سواء على المستوى الاجتماعى أو السياسى.

(ج) المؤسسة الدينية وأثرها فى المشاركة السياسية :

يعد الدين عامل هام فى توجيه الأفراد وتعديل سلوكهم ونقاء سريرتهم، ويؤدى بالفرد للاعتدال وعدم التعصب، ويشعره بتحمل المسئولية ويبعده عن الرذائل، ويقربه من الفضائل والقيم الخلقية^(٧). وذلك من خلال تلقين الفرد للقيم السياسية والخلقية التى يجب أن يسير على نهجها سلوكه، والتى تتحكم فى تحديد علاقاته بغيره من الأفراد، وعلاقته بالبيئة الاجتماعية والسياسية التى تحيط به. وفى هذا الإطار يعبر أصحاب النظرية الوظيفية Functional Theory —من أمثال “Durkhiem” و “Malinowski” و “Weber” و “Donala Young” أن الدين أحد وسائل الضبط الاجتماعى، وأنه كنظام اجتماعى مسئول عن تدعيم العواطف الأساسية اللازمة لتحقيق تماسك المجتمع^(٨). ولتحقيق هذا التماسك سواء على المستوى الاجتماعى أو

(1) Alnond, Gabriel A., Op.Cit., p. 47.

(٢) حمدي على أحمد، مقدمة فى علم اجتماع التربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م، ص ٤١٢.

(٣) بطرس هينتز، التعليم أداة للتكامل الاجتماعى فى المجتمعات النامية، ترجمة: محمد عبد الهادى، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، أكتوبر/ديسمبر ١٩٧١م، ص ٧٥.

(٤) محمد عبد القادر حاتم، رأى العام وتأثره بالإعلام والدعاية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ٤٩٣.

(٥) حنفى محروس، الثقافة السياسية لدى طلاب جامعة أسيوط، دراسة ميدانية على عينة من الطلاب، مجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد الثان والعشرون، الجزء الثانى، أكتوبر ١٩٩٩م، ص ١٧٩.

(٦) جمال السيد إبراهيم، دور وسائل الإعلام فى تنمية الوعى السياسى فى العالم الثالث، دراسة لحالة مصر فى التسعينات، رسالة ماجستير، آداب الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ١٨٣.

(٧) عدلى عزازى إبراهيم جلهوم، المفاهيم الدينية اللازمة لطلاب مراحل التعليم العام فى مصر، رسالة دكتوراه، كلية التربية بالمنوفية، ١٩٨٦م، ص ٧٢.

(٨) سهام محمود العراقى، الاتجاه الدينى المعاصر لدى الشباب، الإسكندرية: المعارف الحديثة، ١٩٨٤م، ص ٥٩.

السياسى أو الاقتصادى تتولى المؤسسة الدينية عملية تحديد التوجيه الدينى للأفراد، والذى يقسمها "البورت" إلى نوعين من التوجهات هى كالتى :

أ - توجيه دينى جوهري :

يجعل الأفراد يستدجون معتقداتهم، وهم بكل ما فى وسعهم فى حالة تألف وتوافق مع المعتقدات أو النصوص الدينية بغض النظر عن العواقب الخارجية، وبذلك يفنى فى دينه.

ب - توجيه دينى ظاهري :

يجعل الأفراد يستخدمون الدين كوسيلة للحصول على المكانة والأمن وتبرير الذات والمكانة الاجتماعية، فالقيم الظاهرية دائماً مغرضة ونفعية، وهم يعتبرون أداة طبيعية لإشباع حاجاتهم وتحقيق أهدافهم الشخصية^(١).

ومن هذا المنطلق يمكن القول أنه إذا كانت هذه الازدواجية موجودة فى توجهات الأفراد الدينية، فمن ثم فإنها توجد فى رؤيتهم للنظام السياسى، وبالتالي مدى استجابتهم للمشاركة فى الحياة السياسية. وعلى هذا يشير أحد الباحثين إلى أن دور المؤسسة الدينية إما داعماً للنظام السياسى القائم وقد يكون دور الدين معارضاً للسياسة القائمة^(٢).

ومن خلال العرض السابق يتضح أن دور المؤسسة الدينية فى تنشئة الأفراد سياسياً يتمثل فى تلقينهم القيم الأخلاقية والاتجاهات السليمة السوية التى بناءً عليها يتصرفون تجاه النظام السياسى الذى يعيشون فيه، ويتفاعلون معه فعن طريق هذه القيم والاتجاهات الأخلاقية والإنسانية يتعلم الأفراد كيف يشاركون فى العملية السياسية، وأفضل الطرق والسبل المشروعة للتعبير عن آرائهم تجاه الحكام والسياسات المتبعة داخل مجتمعاتهم بشكل حر وديمقراطى.

(د) وسائل الإعلام وأثرها فى المشاركة السياسية :

لم يعد الإعلام يمثل السلطة الرابعة أو الخامسة كما تشير الأدبيات الإعلامية، بل أصبح يشغل موقعاً مركزياً فى الاستراتيجيات والسياسات التى تستهدف إعادة بناء المجتمعات المعاصرة، سواء فى دول الشمال أو الجنوب، وقد يكون ذلك أكثر بروزاً فى الدول الصناعية والمتقدمة، حيث يلعب الإعلام دوراً رئيسياً فى التحول العلمى والتكنولوجى، وفى إعادة توزيع القوى السياسية والاجتماعية داخل هذه المجتمعات^(٣).

ومن هذا المنطلق فقد اهتم بعض الباحثين بدراسة الأثر السياسى للإعلام وأكدوا على أن تأثيره فى العلاقات السياسية يفوق تأثيره فى الأفراد، واهتموا بدراسة العلاقة بين الفرد والنظام السياسى؟ وهل هذه العلاقة المتبادلة تهدف إلى المصلحة العامة أم هى خاصة بطبقة الحكام فقط؟ وما هو دور الفرد فى التصدى للحاكم

(١) سهام أحمد العربى، تحليل سوسيولوجى لأبعاد التوجيه الدينى للطفل المصرى، دراسة ميدانية مقارنة، رسالة دكتوراه، آداب المنيا، ٢٠٠١م، ص ٢٢.

(٢) إبراهيم إبراش، علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) عواطف عبد الرحمن، قضايا إعلامية معاصرة فى الوطن العربى، القاهرة: دار الفكر العربى، ط ١، ١٩٩٧م، ص ١٣.

المتسلط؟ كل هذه التساؤلات لابد وأن تقابل بإجابات من خلال وسائل الإعلام^(١). فالإعلام يسهم إسهاماً بارزاً في دعم النظام السياسي وزيادة كفاءته وفعاليته، باعتبار النظام السياسي مجموعة من التفاعلات وشبكة معقدة من العلاقات والروابط السياسية^(٢). وقد أشار عدد كبير من الباحثين والعلماء إلى الدور الفعال الذي تمارسه وسائل الإعلام في التأثير على توجهات الأفراد السياسية وعلى تلقينهم القيم والاتجاهات السياسية السائدة في المجتمع وإمدادهم بالثيرات السياسية التي تدفعهم نحو المشاركة بشكل فعال في الحياة السياسية. ويتركز هذا الدور في عدد من النقاط تتمثل فيما يلي :

- ١- يشير "شرام" و "ليرنير" Schramm, and, Lerner إلى أن وسائل الاتصال تخدم السياسة على أساس أنها تعلم وتنمي التطلعات عند الأفراد حينما يشاهدون أنماطاً جديدة للحياة^(٣).
- ٢- تيسر وسائل الإعلام للسياسيين فرصة الاحتكاك بال جماهير -خاصة الشباب- من خلال أحاديثهم في وسائل الإعلام المختلفة وبالتالي ضاقت المسافة الاجتماعية بين الحكام والحكوميين^(٤).
- ٣- يرى "بيريلسون" و "لازار سفلد" و "ماكفي" أن التعرض لوسائل الإعلام يؤثر في المتغيرات الوسيطة مثل خلق الاهتمام والمناقشة، كما وجدوا أن المناقشة السياسية تمارس غالباً بواسطة الأشخاص ذوي الرؤية المتشابهة^(٥).
- ٤- يساهم الإعلام في التنمية الوطنية بتوفير الأعلام للسكان عن التنمية وما يقتضيه ذلك من تحول اجتماعي وسياسي، وأن تتاح للسكان المشاركة في عملية اتخاذ القرارات، وذلك بتوسيع نطاق المشاركة^(٦).
- ٥- تلعب وسائل الإعلام دوراً كبيراً في محاولات تشكيل وتكوين وعي الأفراد وفقاً لمصالح النظام السياسي أو أصحاب المصالح الخاصة بالإبقاء على هذا النظام واستمراريته^(٧).
- ٦- تقوم وسائل الإعلام -بشكل مباشر أو غير مباشر- إضافة إلى تقديم المعلومات عن الأحداث السياسية، بنقل القيم الرئيسية التي يتفق عليها المجتمع وبالتالي تكون وسائل الإعلام قوة مؤثرة في تشكيل المعتقدات السياسية^(٨).
- ٧- تساهم وسائل الإعلام في إعادة الترتيب القيمي والسلوكي للجماهير عن طريق خلق المعايير، وفرض الأوضاع الاجتماعية الإيجابية المرغوبة، كما تساهم في ذلك أيضاً عن طريق تدعيم الاتجاهات الراسخة^(٩). فوسائل الإعلام لا يقتصر دورها في المجتمع في التوجيه في إكساب اتجاهات جديدة، أو

(١) سامية محمد جابر وآخرون، الإعلام والمجتمع، نحو منظور اجتماعي نقدي للاتصالات الجماهيرية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ص ٦٢.

(٢) سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٤م، ص ٣٣.

(٣) محمود عبد الرؤوف كامل، مقدمة في علم الإعلام والاتصال بالناس، مفهومه .. نظرياته .. تاريخه .. أساليبه .. وسائله، القاهرة: نخبة الشرق، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٧٧.

(٤) حسن الساعاتي، الشباب في مجتمع متغير، مراد وهبة (محرر)، الشباب والمثقفون والتغير الاجتماعي، القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٨٨م، ص ١١٢.

(٥) شاهيناز طلعت، وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية، دراسة نظرية مقارنة وميدانية في المجتمع المصري، القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٩٥م، ص ٢٨٧.

(٦) محمد علي العويني وآخرون، بحث مشاكل الإعلام في ميدان الشباب، استطلاع رأي القادة، القاهرة: القاهرة الحديثة، ١٩٧٧م، ص ١٩.

(٧) نادية رضوان، الشباب المصري المعاصر وأزمة القيم، مرجع سابق، ص ٨١.

(8) Almond, Gabriel A, Op.Cit., p.p. 48,49.

(٩) سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

تعديل اتجاهات قديمة، بل تعمل أيضاً على تثبيت الاتجاهات التقليدية المرغوبة^(١).

وعند تقييم وسائل الإعلام من حيث مدى تأثيرها في توجهات الأفراد نحو المشاركة السياسية، من خلال أنها أداة رئيسية للتنمية السياسية، يرى "داوسن" وآخرون^(٢) أنه يجب التأكيد على أربعة ملاحظات هي كالاتي :

١- تقوم وسائل الإعلام في غالب الأحيان بدور الناقل لمؤثرات سياسية، نشأت وانطلقت من أدوات التنشئة الأخرى.

٢- المعلومات التي تحملها وسائل الإعلام تنقل خلال مرحلتين أو خطوتين **Two-Step Flow** هما :

أ - وصول الرسالة من خلال قادة الرأي **Opinion Leaders** المهتمين بوسائل الإعلام.

ب- انتقال الرسالة من قادة الرأي - كالمدرسين ورجال الدين والنشطين في المجتمع المحلي - إلى الأفراد الذين يملكون تأثيراً عليهم.

٣- وسائل الإعلام عادة ما تعزز توجهات سياسية قائمة بدلاً من خلق توجهات جديدة.

٤- رسائل وسائل الإعلام يتم استقبالها وتفسيرها في محيط اجتماعي وفي إطار ميول ونزعات محددة اجتماعياً.

كما يشير إلى أنه يرتبط بخطوات انتقال الرسالة الإعلامية، أن استقبال الفرد لها وتفسيرها يتوقف على أن :

١- المحيط الاجتماعي يساعد على تحديد أي من وسائل الإعلام تعرض لها الفرد.

٢- المحيط الاجتماعي يؤثر على الطريقة التي يفسر الفرد بها ويستجيب لرسائل معينة.

وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كانت وسائل الإعلام تختلف من حيث طبيعة الوسائل ذاتها والتي تتنوع ما بين مسموع ومرئي ومقروء، وتختلف من حيث طبيعة الرسالة الموجهة إلى المتلقي وطبيعة الأثر الذي تمارسه على ذلك المتلقي، فإن الحديث عن أهم تلك الوسائل من حيث التأثير على الأفراد. دفع البعض إلى التأكيد على أن التلفزيون يعد من أهم وسائل الإعلام من حيث التأثير على توجهات الناس السياسية، نظراً لاقتران الصوت بالصورة وقدرته على توصيل رسالته لجميع طبقات المجتمع المتعلمين وغير المتعلمين وللأسلوب الشائق الذي تقدم به البرامج^(٣).

ونظراً لخطورة الموقع الهام الذي تحتله وسائل الإعلام في العصر الحديث وبروز ما يسمى بالنظام العالمي الجديد **New World Order**، وما يرتبط به من عولمة **Globalization** اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية على المستوى العالمي. أصبح الإعلام هو الأداة التي تسيطر بها القوة الفاعلة في هذا النظام، معتمدة على الثورة المعلوماتية والتكنولوجية المعاصرة، والتي جعلت من العالم قرية صغيرة، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى التأكيد على أن أجهزة الإعلام أصبحت تلاحق الإنسان في كل مكان بأخبارها ونشراتها، هادفة بذلك تحقيق

(١) فتح الباب عبد الحكيم، إبراهيم ميخائيل، وسائل التعليم والإعلام، القاهرة: عالم الكتب، د.ت، ص ٦٧.

(٢) ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، مرجع سابق، ص ص ٢٥٣، ٢٥١، ٢٠٠.

(٣) إبراهيم إبراش، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

أهداف معينة مرتبطة بمصالح القوى العالمية المهيمنة على النظام العالمي الجديد^(*)، حيث أن القوى الفاعلة في هذا النظام الجديد تحاول خلق عالم بلا حدود تتداخل فيه أمور السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك، وبالتالي يكون الانتماء للعالم كله عبر الحدود السياسية للدول^(١). وهو ما ينعكس بدوره على الأفراد في أي دولة، طالما أنهم يمثلون جزءاً من هذا النظام. ومن هنا تكمن خطورة وسائل الإعلام ويبرز دورها في تشكيل الوعي السياسي للأفراد، وتحديد طبيعة علاقتهم بالنسق السياسي، ومدى تقبلهم وامتثالهم لمعايير هذا النسق الذي يخضعون له، وبالتالي تتحدد بشكل كبير دافعتهم للمشاركة في العملية السياسية.

(هـ) الأحزاب وأثرها في المشاركة السياسية:

تعتبر الحياة الحزبية ضرورة من ضرورات الحياة السياسية الصحيحة فالحياة الحزبية في بيئة تتميز بالحرية والانفتاح تعتبر ظاهرة صحيحة للنظام السياسي، بينما تؤدي الحياة الحزبية في بيئة لا يسودها مناخ حرية وشفافية وانفتاح، وتختلط فيها قيم التحديث بموروثات المجتمعات المختلفة كالطائفية والعشائرية والعائلية والولاءات الشخصية، إلى تفتيت الرأي العام وتحول الصراع الديمقراطي إلى نزعات تتحكم فيها الغرائز والمصالح الضيقة التي قد تؤدي إلى حروب أهلية^(٢).

والحزب السياسي كمفهوم هو مجموعة منظمة من الناس ذات مبادئ ومصالح واحدة، وتسعى هذه الجماعة لتحقيق أمليها في الوصول إلى السلطة والمشاركة الفعلية والحقيقية في الحكم، ومن ثم تتمكن من صنع مبادئها وأهدافها العديدة موضع التنفيذ^(٣). أما فيما يخص علاقة الأحزاب السياسية بالمشاركة، فإن الأحزاب السياسية تعد وسيلة فعالة لتنظيم مشاركة الأفراد. فمفهوم الأحزاب السياسية والمشاركة قد ارتبطا ببعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً لدرجة أن البعض لا يتصور إمكانية تحقيق مشاركة سياسية فعالة في الوقت الحاضر إلا عن طريق الأحزاب السياسية^(٤). والمشاركة السياسية بناءً على هذا الرأي تظهر من خلال مؤشرين رئيسيين هما: - مدى إقبال المواطن - طوعاً واختياراً واقتناعاً - على صناديق الانتخابات، ومدى إقبال المواطنين على الانضمام إلى الأحزاب^(٥). ويعني هذا أن الأحزاب تعد قناة مشروعة لتعبير هؤلاء المواطنين عن آرائهم من خلال المشاركة في الانتخابات أو تنفيذ برامج الأحزاب. فهي الإطار المشروع القادر على اجتذاب الجماهير للمشاركة في صنع أو في تشكيل القرارات السياسية العليا، مع ترشيد هذه المشاركة وجعلها أكثر فعالية^(٦).

وعند تناول الدور الذي تساهم به الأحزاب السياسية في عملية المشاركة يمكن الإشارة إلى عدد من النقاط أوردها الباحثين في هذا الموضوع وهي كالتالي :-

(*) لمزيد من التفاصيل حول العولمة وآثارها على الأفراد والدول :

- صابر محمد عبد ربه، موقف الصفوة المتعلمة من النظام العالمي الجديد، الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠١م.

- صابر محمد عبد ربه، الاتجاهات النظرية في تفسير الوعي السياسي، الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠٢م.

(١) صابر محمد عبد ربه، موقف الصفوة المتعلمة من النظام العالمي الجديد، دراسة ميدانية على عينة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة جنوب الوادي، مجلة كلية الآداب بسوهاج، عدد ٢٢ مارس ١٩٩٩م، ص ٤٧.

(٢) هاني الرضا، رامز عمارة، الرأي العام والإعلام والدعاية، بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٩٨م، ص ٦٩، ٧٠.

(٣) إبراهيم أبو الغار، علم الاجتماع السياسي، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧١م، ص ١٦٧.

(٤) نظام بركات وآخرون، مبادئ علم السياسة، الرياض: مطابع الأيوبي، ط ٣، ١٩٨٩، ص ٢٤٤.

(٥) رجب البناء، البحث عن المستقبل، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٦) أحمد فاروق، التحليل السوسولوجي لدور الأحزاب في التنشئة السياسية للشباب، دراسة ميدانية على شباب بندر المنيا، رسالة ماجستير، آداب المنيا، ١٩٨٩م، ص ١٨٦.

- ١ - يشير أحد الباحثين^(١). إلى أن الأحزاب لها دور في عملية المشاركة السياسية من خلال أنما تقوم بعدد من الوظائف تتمثل في :
- أ - أن الأحزاب تساعد على زيادة المشاركة عن طريق فتح قنوات جديدة للمشاركة الجماهيرية.
- ب- أن المشاركة في الأنشطة الحزبية تساعد على تنمية الشعور بالولاء والانتماء لدى الجماهير.
- ج- أن المشاركة في الأنشطة الحزبية تساعد على زيادة المعرفة السياسية وبالتالي الثقافة السياسية.
- ٢ - تساهم الأحزاب في المشاركة السياسية من خلال استقطاب المواطنين لعضويتها وبالتالي اشتراكهم في الحياة السياسية، وتقوم بعملية تسييس للمواطنين من خلال صفحتها الخاصة والندوات والاجتماعات التي تعقدها^(٢).
- ٣ - تعمل الأحزاب على تكوين ثقافة سياسية لدى الأفراد تمكنهم من المشاركة الفعالة في المسائل السياسية والحكم عليها حكماً أقرب إلى الصحة^(٣).
- ٤ - تمثل الأحزاب قوة ضغط على السلطة الحاكمة بحيث تضع في اعتبارها مراعاة مختلف التيارات الفكرية والاتجاهات السياسية عند اتخاذ القرار السياسي^(٤).
- ٥ - تعتبر الأحزاب وسيلة لمخاطبة ما يمكن أن يسمى بالأعضاء المحتملين ومحاولة إقناعهم بجدوى الحزب في تمثيل آرائهم أو إقناعهم بآرائه وهؤلاء تتراوح هويتهم أصلاً بين الاهتمامات القريبة من اهتمامات الحزب أو الحياد بين الآراء، وهم ما يطلق عليهم في لغة السياسة جلساء الأسوار "Fencesitters"^(٥).
- ٦ - يعمل الحزب على تمكين الهيئة الناجبة من التعبير عن آرائهم في المسائل العامة بأسلوب مدروس ومنظم، الأمر الذي يوثق العلاقة بين الهيئة الناجبة والهيئة الحاكمة^(٦). فالأحزاب تلعب دوراً هاماً في التعبير عن أصوات الناخبين.
- ٧ - يشير "هنتجتون" Huntington إلى أن الأحزاب تلعب دوراً هاماً في التحديث السياسي والذي يعمل على خلق العديد من المشاكل المرتبطة بالقيم التحديثية، وبدخول أعداد متزايدة من الأفراد إلى حلبة السياسة والمشاركة السياسية، الأمر الذي يؤدي إلى انعدام الاستقرار، ومن ثم ضرورة وجود أحزاب سياسية تعمل على خلق هويات وولاءات جديدة ومواجهة المشاكل المرتبطة بالتحديث واتساع نطاق المشاركة السياسية^(٧).

(١) صابر محمد عبد ربه، دور الأحزاب السياسية في التنمية، مرجع سابق، ص ٩٨.

(٢) إبراهيم إبراهيم، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) أحمد فاروق، عوامل الاغتراب السياسي بين الشباب، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٤) السيد حنفي عوض، علم الاجتماع السياسي، مدخل إلى الاتجاهات والمجالات، القاهرة: مطبعة وهبة، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٠٧.

(٥) أحمد عادل، الأحزاب السياسية والنظم الانتخابية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١٠١.

(٦) توفيق عبد الغنى، أسس العلوم السياسية في ضوء الشريعة الإسلامية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص ١٧.

(٧) إحسان محمد حفطى، الوعي والمشاركة، مرجع سابق، ص ٢١٣، ٢١٢.

وتتوقف المشاركة النشطة في أنشطة الأحزاب السياسية على عدد من المتغيرات والعوامل مثل السن والجنس ومستوى التعليم والمكانة الاجتماعية والدخل، وفي هذا الإطار يؤكد بعض الباحثين أن هذه المشاركة مرتبطة بعدد من العوامل مثل الوضع الاجتماعي والفرص المتاحة والرغبة الاجتماعية، فالمشاركة في السياسة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع الاجتماعي^(١). كما يختلف دور الأحزاب السياسية في التوعية السياسية للأفراد ودفعهم نحو المشاركة باختلاف طبيعة الأنظمة السياسية السائدة من حيث كونها أنظمة رأسمالية أم اشتراكية ففي البلدان الاشتراكية يعتبر الحزب السياسي أحد أهم الأدوات للتربية الشبابية وتربية الكوادر والصغار من خلال المنظمات المحلية والعالمية، ومن خلال الأندية والندوات التي يقوم بها الحزب بهدف توعيتهم بالإيديولوجيا السائدة في المجتمع. وفي البلدان الرأسمالية تلعب الأحزاب السياسية التي تحكم نفس الدور إلى جانب وسائل الإعلام التي يسيطر عليها الحزب والأحزاب المشاركة في الحكم^(٢).

ولا شك أن ظهور الأحزاب السياسية ومسيرة تطورها في الدول النامية تختلف إلى حد كبير عنها في دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وذلك نتيجة لاختلاف مستوى التطور بين تلك الدول والمجتمعات، والظروف التاريخية التي تحكم مسيرة هذا التطور. فقد أدى نمو الديمقراطية والثروة في المجتمعات الصناعية إلى إنتاج نوع جديد من المنظمات السياسية وهي الأحزاب السياسية الجماهيرية، التي تساعد على تحريك الرأي العام في دعم البرامج السياسية والمرشحين^(٣). وفي نفس الاتجاه يشير بعض الباحثين -في إطار تناوهم لدور الأحزاب السياسية في المشاركة في بعض البلدان- إلى أنه -وعلى سبيل المثال- ظهرت في بلدان الشرق الأوسط مؤسسات تعمل على تحقيق قدر من المشاركة والاتصال بين النخب والجماهير، إلا أن هذه المؤسسات طغى عليها الطابع الشخصي والتقليدي، ولم تؤد هذه الأحزاب السياسية والبرلمانات إلى إحداث تغيير حقيقي على هذا الشكل من المشاركة، بل كثيراً ما كانت تشكل عوائق للاتصال أكثر من كونها قنوات له^(٤). فالتركة المتراكمة التي خلفها الاستعمار وراءه في البلدان النامية لا يمكن إزالتها بالجهودات الفردية، ولذلك فإن الدول ملزمة بأن تتدخل في جميع نواحي الحياة العامة^(٥). ومن ضمن هذا، تدخلها في عدم إتاحة الفرصة أمام الأحزاب لتقوم بدورها وتنفيذ برامجها السياسية في إطار حر وديمقراطي، ووضع قيود أمام الأفراد تعيقهم عن المشاركة في شئون بلادهم.

وانطلاقاً من هذا وبتناول الأحزاب السياسية في مصر ودورها في المشاركة السياسية، يمكن القول أن الأحزاب السياسية وعبر جذورها التاريخية الطويلة قد أسهمت في عدم ثقة المواطنين وعدم رغبته في المشاركة. وفي هذا الاتجاه يشير "رجب البنا" إلى أن النظام السياسي واجه حين انتقل إلى مرحلة التعددية السياسية سلبية من القاعدة العريضة للجماهير، ونشأت الأحزاب في إطار ثقافة سياسية تعبر عن أزمة مشاركة، بالإضافة إلى غياب الديمقراطية الحقيقية داخل الأحزاب وتأثيرها على مصداقية هذه الأحزاب وانعدام المجال لحرية الاختلاف داخلها، وانعدام الفرصة لتداول القيادة وظهور أجيال

(1) Denisoff, R. Serge, and, Wahrman, Ralph "An Introduction to Sociology" Third Edition, Macmillan Publishing Co. Inc. New York, 1983, p. 265.

(2) عبد الفتاح تركي وآخرون، مفاهيم أساسية في التربية، مرجع سابق، ص ٦٠.

(3) Lenski, Gerhard, and Others "Human Societies, An Introduction to Macro-Sociology" Seven Edition, Mc. Graw-Hill, Inc. New York, 1995, p. 312.

(4) Bill, James A., and, Leiden, Carl "Politics in the Middle East" Second Edition, Little Brown and Company, Boston, 1984, p. 26.

(5) رفيق سكري، مدخل إلى الرأي العام والإعلام والدعاية، مرجع سابق، ص ٨٦.

جديدة تدين بالولاء للحزب وليس للأشخاص، وعكس أسلوب رشيد لإدارة الصراع الفكري والسياسي داخل الأحزاب بشكل يحفظ تماسك هذه الأحزاب، ولا يؤدي إلى انفجارها من الداخل ثم تدنى لغة الحوار والخطاب السياسي سواء داخل كل حزب، أو بين الأحزاب وبعضها، أو بينها وبين الحكومة^(١). ومن ثم فإن النظام السياسي المصري وكما تقرر إحدى الدراسات يظهر في جانبه الشكلي مظهر النظم الديمقراطية بتبنيه التعددية السياسية المقيدة، وإصدار صحف حزبية محدودة التأثير. إلا أنه في جوهره لا يزال يحتفظ بسمات النظام الشمولي، وتشير هذه الدراسات إلى أن هناك مجموعة من السمات التي تؤيد وجهة النظر هذه وتمثل في التالي :

١ - على الرغم من مرور أكثر من عشرين عام على الانتقال من الحزب الواحد إلى التعددية وكثرة عدد الأحزاب، إلا أن الحزب الوطني تمكن بالاحتفاظ بالسلطة طوال هذه المدة، وهو ما يدل على عدم الاعتراف بحق تداول السلطة.

٢ - أن غالبية المواطنين في مصر قد وعوا مبكراً بعدم مصداقية الحكومة في هذا الانتقال إلى التعددية، وهو ما انعكس على رفضهم المشاركة في هذه المؤسسات، وقد كشفت إحصاءات الاستطلاع أن نسبة غير المشاركين في الأحزاب بلغت ٨٨%.

٣ - استمرار العمل بقانون الطوارئ منذ الانتقال إلى التعددية بما يتضمنه ذلك من تقييد كافة الحقوق والضمانات الواردة في الدستور حتى إنه يمكن وصف قانون الطوارئ بأنه الدستور الحاكم الفعلي للبلاد، والذي بموجبه تم شل قدرة الأحزاب في الحركة والنشاط.

٤ - أن النظام السياسي المصري يفتقد إلى التعددية الإعلامية، فباستثناء صحف المعارضة فإن الإعلام الحكومي هو المسيطر على اتجاهات الرأي العام.

٥ - افتقاد النظام الانتخابي إلى معايير العدالة والذاهة، وذلك من خلال الهيمنة الكاملة للسلطة التنفيذية في إدارة عمليات الانتخاب والترشيح والتدخل في سير العملية الانتخابية في كافة مراحلها.

٦ - تقييد حق الأفراد في المشاركة من خلال مؤسسات المجتمع المدني عن طريق قانون الجمعيات رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤م والذي يمنع مشاركة الأفراد في أي جمعيات تهم بحقوق الإنسان والديمقراطية، حتى أدى إلى عزوف المواطنين عن الاشتراك في أي نوع من الجمعيات^(٢).

تلك كانت نظرة سريعة على واقع الأحزاب السياسية في ظل النظام السياسي المصري، ويشير الباحث - بناءً على ما سبق ذكره - إلى أن واقع الأحزاب في مصر يعبر عن طبيعة النظام السياسي المصري بجذوره التاريخية بشكل عام، وطبيعته المعاصرة بشكل خاص، حيث تعيش الأحزاب السياسية - كمعظم دول العالم الثالث - في ظل تحكم الدولة وسيطرتها على المؤسسات المدنية والسياسية وهو ما نتج عنه عزوف الأفراد عن المشاركة في الأحزاب السياسية عامة، والمشاركة في الانتخابات بشكل خاص هذا من جهة، وعدم قدرة هذه الأحزاب على لعب دورها التاريخي في تشكيل الوعي السياسي للأفراد من خلال تلقينهم لمبادئها وبرامجها

(١) رجب البناء، البحث عن المستقبل، مرجع سابق، ص ١٦٣، ١٦٢.

(٢) حافظ أبو سعدة، قبل فوات الأوان، دراسة ميدانية في سبعة دوائر انتخابية حول المشاركة السياسية في مصر، القاهرة: جماعة تنمية الديمقراطية، برنامج أصدقاء الديمقراطية، د.ت، ص ٨٣، ٨٢.

ودفعهم نحو المشاركة في الحياة السياسية، حفاظاً على مصالحها من جهة ثانية.

ثانياً : الثقافة السياسية .. علاقتها بالتنشئة وأثرها في المشاركة :

تتكون الحياة الاجتماعية من علاقات بين الأفراد تنظمها نظم وأوضاع وتقاليـد خاصة، وهذه العلاقات تؤدي إلى مظهر ثقافي يتمثل في النواحي المادية من ناحية -كالصناعة والفن والاختراع- وفي النواحي العقلية -كالعقائد والعادات- من ناحية أخرى. وهذا المظهر الثقافي يشكل الفرد والمجموعة، ويطبعا بصفات معينة^(١).

وفي هذا الإطار تعتبر ثقافة أي مجتمع من المجتمعات حـصيلة تجارـية مختلفة على مر العصور والأزمان، وهي كما يصطلح العلماء الاجتماعيون تتكون من عناصر عديدة منها اللغة والفكر والقيم والعادات والتقاليد والأدوات والفنون المختلفة التي يستخدمها المجتمع في إشباع حاجاته ومطالبه المختلفة^(٢). حيث تعد الرصيد الحضاري والإنساني الذي يتوارثه الإنسان عبر الزمن، ومن جيل إلى جيل.

وللثقافة تأثيرها القوي في الإنسان فهي تقرر لنا كيف نفكر في العالم المحيط بنا وكيف نراه، وهي تؤثر في طريقة عرض المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالمجتمع وغيره من المجتمعات^(٣).

وهذا يعني أن الثقافة تختلف اختلافاً شائعاً أحياناً من بيئة إلى بيئة، وفي المجتمع الواحد من جيل إلى جيل، أي أنها متباينة في الزمان والمكان بقدر تباينها في النوع والأصل^(٤). إلا أنها بشكل عام تعني كل سلوك ومنتجات متصلة يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع عن طريق التفاعل الرمزي^(٥).

وعلى هذا يمكن القول أنه على الرغم من هذه الاختلافات في الثقافة سواء بين الأفراد وبعضهم داخل المجتمع الواحد، أو الاختلاف الثقافي بين المجتمعات وبعضها، إلا أن ما يحدث الآن في العالم من سيطرة القطب الواحد، وفي ظل عولمة Globalization ثقافية وسياسية واقتصادية تشكل أركان ما يسمى بالنظام العالمي الجديد New World Order دعى البعض إلى التخوف من اجتياح العولمة لخصوصية كل ثقافة تختلف عنها، وإلى توحيد العالم تحت لواء واحد، وثقافة واحدة تنبع من مركز القوة الفاعلة التي تسيطر على آليات ووسائط تلك العولمة. وفي هذا الاتجاه يؤكد البعض على أن العولمة "تهدف إلى توحيد ثقافي عالمي يسلب الثقافات الوطنية حضورها، وتعبيراتها، ونكهتها"^(٦).

وانطلاقاً من العلاقة القوية التي تربط بين التنشئة والثقافة السائدة في المجتمع، والتي يشير أحد الباحثين إلى أن هذه الأخيرة تعد المحيط العام أو النسق الذي تتفاعل فيه التنشئة، وتستمد منها مضمونها الاجتماعي والسياسي^(٧). وكذلك التأثير الكبير الذي تلعبه الثقافة السياسية في المجتمع وذلك من خلال أن الثقافة توفق في الجماعة نزعات فطرية معينة، وترقيها وتنظمها بشكل يجعلها تنتج طرازاً معيناً من الرغبات والأغراض^(٨). وأن تحقيق المشاركة من خلال إحداث تغيير في سلوك الأفراد واتجاهاتهم يرتبط بما يسمى بعملية التنشئة والثقافة

(١) السيد محمد البدرى، مبادئ علم الاجتماع، القاهرة: دار المعارف، ط ٤، ١٩٧٦م، ص ٢٩٤.

(٢) محمود السيد سلطان، دراسات في التربية والمجتمع، الجزء الأول، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م، ص ٢٧٣.

(٣) حسن الفقى، الثقافة والتربية، الإسكندرية: مطبعة معهد دون بوسكو، ط ١، ١٩٧٠م، ص ١٠.

(٤) كمال الدسوقي، الاجتماع ودراسة المجتمع، القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م، ص ٦٨.

(5) Hoult, Thomas Ford, "Dictionary of Modern Sociology", Op.Cit., p. 93.

(٦) صابر محمد عبد ربه، موقف الصفوة المتعلمة من النظام العالمي الجديد، الإسكندرية: دار الوفاء، ٢٠٠١م، ص ٤٦.

(٧) إبراهيم إبراش، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٨) عبد المجيد عبد الرحيم، علم الاجتماع السياسي، القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م، ص ٣١١.

السياسية^(١). فسوف تتناول الدراسة الحالية مفهوم الثقافة السياسية وأهم أبعادها ومكوناتها، بالإضافة إلى علاقتها بالتنشئة، وانعكاس تلك العلاقة على المشاركة السياسية للأفراد.

(أ) مفهوم الثقافة السياسية :

انطلاقاً من مقولة أن الثقافة السياسية هي جزء من الثقافة العامة للمجتمع، وحتى يتسنى لنا فهم جميع الجوانب المتعلقة بالثقافة السياسية، فمن الواجب أن يشار أولاً إلى مفهوم الثقافة في سياقه العام :

وفي هذا الإطار ترى "سامية الساعاتي" أن مصطلح الثقافة من أكثر المصطلحات الاجتماعية دوراناً في ميادين البحث المختلفة في العلوم الاجتماعية، وبالتالي فهو من أكثرها تعرضاً للجدل حول تحديد أبعاده المختلفة. حيث ذهب بعض دارسي علم الاجتماع الثقافي إلى أن هناك أكثر من مائة تعريف للثقافة لعلماء ينتمون إلى تخصصات منها الأنثروبولوجيا والأثنولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والطب العقلي والاقتصاد والسياسة والجغرافيا ... وغيرها^(٢).

هذا التباين في الرؤى حول مفهوم الثقافة دفع "برهان غليون" إلى التأكيد على أن هذا الاختلاف جاء لسببين هما :

١ - إطلاق الثقافة كصفة لظواهر وسيرورات مختلفة ومتفاوتة، بل ومتناقضة أحياناً لتمييز ميادين ذهنية ومادية مختلفة (ثقافية سياسية/ثقافية مادية)، أو لتمييز سلوك أو خصوصيات قومية، أو لتحديد مكانة اجتماعية (متقف/أمية)، أو لوصف مواقع سياسية (تقدمية/رجعية).

٢ - استخدام الثقافة للتعبير عن آليات ووظائف اجتماعية، حيث يعتبرها البعض بنية فوقية تتبع بنية تحتية تحدد لها وظائفها، في حين يعتبرها البعض الآخر بنية أساسية تخضع لها جميع البنى الأخرى^(٣).

ولعل أشمل تعريف قدم للثقافة، ذلك الذي قدمه "تايلور" "Tylor" عام ١٨٧١م حيث أعطى فيه وصف محدد للثقافة على أنها "الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والآداب والأخلاق والقانون والعرف والعادات والمقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع. إلا أن هناك من انتقد هذا المفهوم وأضاف إلى العادات والمقومات الأخرى التي لم يذكرها "تايلور" اللغة والأساليب والطرق الصناعية واستعمال الأدوات، كما أضافوا أن طرق التفكير والشعور تشمل ذلك، إلا أن هذه الصفات والإمكانات وإن لم تكن موصوفة في خصائص الثقافة عند "تايلور" فإن الثقافة تشمل كل ما يكتسبه الإنسان كعضو في المجتمع كما أشار^(٤).

ويذهب "رالف لنتون" Ralph Linton إلى أن "الثقافة تعني تشكيل السلوك المتعلم ونتاج هذا السلوك الذي يشترك فيه أعضاء مجتمع خاص في عناصره المكونة له، ويتناقلونه فيما بينهم"^(٥).

بينما يرى "ديفيد هنتر" David Hunter و"فيليب ويتين" Phillip Whitten إلى أنها "السلوك النمط والذي

(١) إحسان محمد حفظي، الوعي والمشاركة، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٢) سامية الساعاتي، الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣) صالح خليل أبو اصبح، تحديات الإعلام العربي، المصادقية، الحرية، التنمية، الهيمنة الثقافية، دراسات في الإعلام، عمان: دار الشروق، ط١، ١٩٩٩م، ص ٤٤.

(4) Sutherland, Robert L., and Others "Introductory Sociology" J. Blippincott Company, Chicago, 1961, p. 29.

(5) Ottaway, A. K. C. "Education and Society, An Introduction to Sociology of Education" Routledge and Kegan Paul, London, 1970, p. 21.

يتعلمه الأفراد ويعلمونه كأعضاء في جماعات وينقلونه من جيل إلى جيل^(١).

ويعرفها "ماكيفر" بأنها "تعبّر عن طبيعتنا في طرق حياتنا وتفكيرنا وفي معاملتنا اليومية وفي الفن والآداب والدين وفي اللهو والمتعة"^(٢).

كما يعرفها "M. Brake"، بأنها كل السلوك المتعلم والذي يكتسب اجتماعياً^(٣).

ويشير "فريدريك معتوق" إلى أن "الثقافة تعني في الأنثروبولوجيا التراث الأدبي والمسرحي والفني، وتعني أيضاً جميع التعابير التي نطلق عليها عادة صفة الاجتماعية والتي تميز جماعة بشرية معينة كالتقاليد والعادات والاحتفالات على أنواعها، ومسالك التعبير وتقاليد الطبخ وعادات اللباس"^(٤).

بينما يرى "روجر كيسينج" أنها "تعني نظام المعرفة الذي يشارك فيه قلة أو كثرة من أعضاء المجتمع"^(٥).

ويذهب "نيللر" إلى أن "الثقافة يقصد بها في حد ذاتها جميع طرائق الحياة التي طورها الناس في المجتمع"^(٦).

ويرى "مختار الفوال" أن "الثقافة تعني البيئة المادية وغير المادية التي خلقها الإنسان لنفسه، وتتضمن الصورة المتكاملة والمتشابكة للعلوم والفنون والمعتقدات والفلسفات في أي مجتمع، وكذا انعكاساتها المادية والاجتماعية"^(٧).

كما يرى "عاطف وصفي" أن "الثقافة تعني ذلك الكل المتكامل لأنماط السلوك المكتسبة التي يأخذ بها أعضاء وأمرء مجتمع معين"^(٨).

ويذهب "كلايد كلاكهون" إلى أن "الثقافة مفهوم يشير إلى النتائج المتراكمة للإبداع والخلق الإنساني، وأنه يشير إلى طرق التوافق في البيئة المحيطة سواء أكانت إنسانية أو فيزيقية، كاللغة والعرف وآداب السلوك والأخلاقيات والدين التي يكتسبها الإنسان خلال حياته"^(٩).

ويرى "محمد الجوهري" أن "الثقافة تشير في أوسع معانيها إلى مجموع أساليب السلوك المكتسبة عن طريق التعلم والشائعة عند كل البشر في فترة تاريخية، ثم تعني هي كل وجه لتحديد أساليب السلوك المميزة لجماعة معينة قد تكون مجموعة من المجتمعات المتفاعلة إلى حد ما (مثل ثقافة الهنود الحمر ساكني السهول)^(١٠).

وأخيراً يذهب "مايرز" Davied Myers إلى أن "الثقافة تعني السلوكيات والأفكار والاتجاهات

(1) Hunter, David E., and, Whitten, Phillip "The Study of Anthropology" Harper and Row Publishers, New York, 1976, p. 582.

(٢) عبد الهادي الجوهري، أصول علم الاجتماع، القاهرة: نخبة الشرق، ١٩٨٤م، ص ٢٤٧.

(3) Brake, Michael "Comparative Youth Culture" Routledge and Kegan Paul Ltd, London, 1995, p. 2.

(٤) فريدريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٣م، ص ١١٨.

(5) Kessing, Roger M., "Cultural An Thropology", Op.Cit., p. 552.

(٦) ج.ف. نيللر، الأصول الثقافية للتربية، مقدمة في أنثروبولوجيا التربية، ترجمة: محمد منير مرسى وآخرون، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٢م، ص ١٤.

(٧) مختار الفوال، العادات والتقاليد المعوقة للتنمية في القرية المصرية، دراسة ميدانية على قريتين بمحافظة أسيوط، رسالة ماجستير، آداب المنيا، ١٩٨٠م، ص ٢٨.

(٨) عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية "مع دراسة ميدانية للحالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديوبورن الأمريكية"، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧١م، ص ٢٧، ٢٨.

(٩) فاروق مصطفى، الأنثروبولوجيا الثقافية، قطر: دار قطر بن فحاة، ١٩٨٦م، ص ١٠٧.

(١٠) محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ١٩.

والعادات الكلية التي يشترك فيها جماعة كبيرة من الناس، والتي تنقل من جيل إلى الجيل الذي يليه" (١).

وبعد استعراض المفاهيم التي تناولت الثقافة يمكن القول أنه هناك مجموعة من العناصر المشتركة تجمع بينها وهي على النحو التالي :

١ - أن معظم التعريفات جاءت متفقة مع ما ذهب إليه "تايلور" في مفهومه للثقافة بالإشارة إلى كليتهما وشمولها لكل ما يخص الإنسان ويكتسبه باعتباره عضواً في المجتمع.

٢ - أن هذه الثقافة كانت وليدة التفاعل بين أعضاء المجتمع بعضهم البعض.

٣ - أن هذه الثقافة تنتقل من الجيل إلى الجيل الذي يليه، وهو ما يؤكد استمرارها.

٤ - أن معظم المفاهيم التي تناولت الثقافة أشارت إلى أنها سلوك مكتسب عن طريق التعليم والتفاعل والعلاقات بين أعضاء المجتمع.

وفي هذا الإطار يشير "دuncan Mitchell" إلى أن "الثقافة في معناها الواسع تشير إلى ذلك الجزء من البنيان الكلي للفعل الإنساني ونتائجه" (٢).

أما فيما يخص الثقافة السياسية باعتبارها جزء من الثقافة بمفهومها العام، فإننا تشير إلى طرق التفكير والشعور والسلوك السياسي الخاص بجماعة ما، وعليه يمكن القول أن خصائصها نفس خصائص الثقافة العامة، مطبقة على مستوى السياسة، فهي ثقافة فرعية تتأثر بالثقافة الأشمل والتي تؤثر بشكل كبير على ثقافة المجتمع السياسية، وتكتسب مقوماتها، ويتحدد طابعها من خلال الثقافة العامة للمجتمع (٣). فالشخص السياسي أو الرجل العادي لا يستطيع أن يحمل قيماً سياسية ويمارس سلوكاً سياسياً يتناقض مع ثقافة المجتمع، وإلا اعتبر ذلك الشخص شاذاً عن المجتمع، فالثقافة سياسة على مستوى النظر، والسياسة ثقافة على مستوى الممارسة (٤).

وقد تمثل الإسهام الحقيقي الذي قدمه علماء الاجتماع في مجال دراسة الثقافة السياسية في تطوير البحث داخل هذا الميدان إبان عام ١٩٥٦م على يد "جبريل الموند" G.Almond، غير أنه ظهر استخدام هذا المصطلح بطريقة علمية منظمة على يد كل من "جبريل الموند" و"فيربا" G.Almond, and, S.Verba عام ١٩٦٣م، و"لوسيان باي" و"سيدني فيربا" Lucian W.Pye, and, Verba عام ١٩٦٥م حينما ربط بين الثقافة السياسية والتنمية السياسية (٥). فقد ورد مصطلح الثقافة السياسية لأول مرة في مقال عالم السياسة الأمريكي "جبريل الموند" بعنوان "النظم السياسية المقارنة" والمنشور في مجلة السياسة عدد ١٨ عام ١٩٥٦م، وقد عني "الموند" بالثقافة السياسية "نسق القيم والاتجاهات والمعتقدات السياسية" وذكر أن أي نظام يحيا في إطار ثقافة سياسية معينة تساعد معرفة مكوناتها وعناصرها في تفسير كيف تتشكل وتعمل المؤسسات السياسية (٦).

(1) Myers, Davied, G. "Social Psychology" Mc. Grow-Hill, Inc, New York, 1993, p. 186.

(2) Mitchell, G. Duncan, "A Dictionary of Sociology", Op.Cit., p. 47.

(٣) إبراهيم إبراش، علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(٤) حسن حنفى، الدين والثقافة والسياسة في الوطن العربي، القاهرة: دار قباء، ١٩٩٨م، ص ٢٠٧.

(٥) السيد شحاتة السيد، دور الثقافة السياسية في مواقف الشباب نحو العمل السياسي، دراسة للمجتمع المصري في السبعينات، رسالة دكتوراه، آداب الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ١٥.

(٦) محمد محمود ربيع، موسوعة العلوم السياسية، الكويت: دار الوطن، د.ت، ص ٤٨٠.

ويقصد بالثقافة السياسية كما يشير "لارى دايموند" بأنها "المعتقدات والمواقف والقيم والمثل والعواطف والتقييمات المهيمنة عند الشعب حول النظام السياسى فى وطنه"^(١).

كما يذهب "موريس دوفرليه" إلى أن "الثقافة السياسية بصورة عامة تعنى الجوانب السياسية للثقافة معتبرين أنها تشكل هى نفسها مجموعة منظمة"^(٢).

فى حين يشير "لوسيان باى" Lucian Pye إلى أنها "مجموع الاتجاهات والمعتقدات والمشاعر التى تعطى نظاماً ومعنى للعملية السياسية وتقدم قواعد مستقرة تحكم تصرفات أعضاء النظام السياسى"^(٣).

ويعرفها "روى ماكريدس" Roy Macridis بأنها "تمثل الأهداف المشتركة والقواعد العامة المقبولة"^(٤).

وتشير "ريجينا الشريف" إلى أن "الثقافة السياسية تعنى نمط المواقف الفردية من السياسة بين أعضاء نظام سياسى معين، وعلى هذا فالثقافة السياسية تشمل الإنجاز الفعلى لهذا النظام السياسى والميدان الذاتى الذى يجعل للأفعال السياسية معنى"^(٥).

بينما يشير "عبد الهادى الجوهري" إلى أن "الثقافة السياسية هى مجموع القيم والمعتقدات السياسية الأساسية السائدة فى أى مجتمع والتى تميزه عن غيره من المجتمعات"^(٦).

وتعرف دائرة المعارف الاجتماعية الثقافة السياسية بأنها "مجموع الاتجاهات والمعتقدات والمشاعر التى تعطى النظام والمعنى للعملية السياسية التى توفر وتقدم الافتراضات الكامنة والقواعد التى تحكم السلوك فى النظام السياسى، وهى تشمل على كل الأفكار السياسية والمعايير الأخلاقية للسياسة، لذا فالثقافة السياسية هى المظهر فى صورة متراكمة من البعد النفسى والذاتى للأمور السياسية"^(٧).

ويذهب "سيدنى فيربا" إلى أن "الثقافة السياسية هى المعتقدات والرموز التعبيرية والقيم التى تحدد الموقف الذى يحدث الفعل السياسى فى إطاره"^(٨).

كما يعرفها "Powlle" بأنها "مجموعة الاتجاهات والمشاعر والقيم التى تسود بين أفراد شعب ما تجاه السياسة"^(٩).

وأخيراً يعرفها "سامى خشبة" بأنها "مجموع القيم والاتجاهات والسلوكيات السياسية فى مجتمع بعينه وهو

(١) لارى دايموند، مصادر الديمقراطية، ثقافة المجموع أم دور النخبة، ترجمة: سمية فلو عبود، بيروت: دار الساقي، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٦.

(٢) موريس دوفرليه، علم اجتماع السياسة، مبادئ علم السياسة، ترجمة: سليم حداد، بيروت: المؤسسة الجامعية، ط١، ١٩٩١م، ص ٩٢.

(٣) فيفى أحمد توفيق، الثقافة السياسية والاجتماعية لطلاب المرحلة الثانوية بمدارس اللغات الإنجليزية، رسالة ماجستير، كلية التربية بسوهاج، ١٩٩٤م، ص ١٥، ١٤.

(٤) إبراهيم إبراش، علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٥) رجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، جذورها فى التاريخ الغربى، ترجمة: أحمد عبد الله، فى سلسلة عالم المعرفة، عدد ٩٦، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر ١٩٨٥م، ص ٢٦٨.

(٦) عبد الهادى الجوهري وآخرون، دراسات فى علم الاجتماع السياسى، مرجع سابق، ص ٧٦.

(7) Bye, Lucian W. "Culture and Political Science Problems in the Evaluation of the Concept of Political Participation" in Schneider Louis, and, Bonjean, Charles M. (Eds) "The Idea of Culture in the Social Sciences" Cambridge University Press, 1973, p. 68.

(8) Almond, G., and, Powlle, G. Bingham "Comparative Politics: System Process and Policy" Little Brown and Company, Boston, 1978, p. 25.

(٩) فيفى توفيق، الثقافة السياسية والاجتماعية لطلاب المرحلة الإعدادية، مرجع سابق، ص ١٥، ١٠١.

ما لا يتسع لأكثر ما يتضمنه النظام السياسي الرسمي، وما يعلنه هذا النظام^(١).

ومن خلال العرض السابق يتبين أن هناك مجموعة من العناصر المرتبطة بمفهوم الثقافة السياسية وهى كالتالى :

- ١ - تعتبر الثقافة السياسية جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع حيث تعد الثقافة السياسية ثقافة فرعية وجزء من التراث الاجتماعى الذى ينتقل عبر الأجيال المتعاقبة.
 - ٢ - تمثل الثقافة السياسية مجموعة الاتجاهات والقيم وأنماط السلوك التى يسير عليها أفراد المجتمع، ويتفاعلون مع النسق السياسى بناءً عليها.
 - ٣ - تختلف الثقافة السياسية باعتبارها جزءاً من الثقافة العامة، من مجتمع إلى آخر، كما تختلف من جماعة إلى أخرى داخل نفس المجتمع.
 - ٤ - أن الثقافة السياسية تلعب دوراً هاماً فى العملية السياسية وذلك من خلال إعطائها نظام ومعنى لهذه العملية يحدد تصرفات الأفراد تجاه النظام السياسى.
- وبشكل عام يمكن القول أن الثقافة السياسية فى إطار الدراسة الحالية تعنى "مجموع القيم والاتجاهات والمعتقدات والأفكار والمعارف السياسية، وما يرتبط بها من مواقف وسلوك والتى تحدد طبيعة العلاقة بين الأفراد والنسق السياسى الذى يعيشون فيه.

(ب) أبعاد الثقافة السياسية ومكوناتها :

تتميز الثقافة بوجه عام بمجموعة من الخصائص تتنوع وتعدد بتنوع وتعدد المفاهيم التى تناولتها. وفى هذا الإطار يشير إبراهيم مذكور^(٢) إلى أن الثقافة تتميز بثلاث خصائص رئيسية^(٣). هى كالتالى :

- ١ - أنها اختراع أو اكتشاف إنسانى فليس للحيوان ثقافة لأنه يعيش على الغريزة، فالثقافة تتميز بأنها إنسانية.
 - ٢ - أنها تنتقل من جيل إلى جيل على شكل عادات وتقاليد ونظم وقوانين وكل جيل يضيف إليها نماذج جديدة، كما قد تنتقل من وسط اجتماعى إلى وسط اجتماعى آخر [وهو ما يؤكد استمراريتها وبقائها].
 - ٣ - أنها قابلة للتعديل والتغير إذ يلجأ كل مجتمع وكل جيل إلى تغيير نماذجه وفق ما يحيط به من ظروف خاصة به [وهو ما يؤكد نسبتها للثقافة ليست شئ مطلق وثابت].
- ويقدم "طلعت إبراهيم" تصنيفاً لخصائص الثقافة، حيث يرى أن الثقافة تتميز بمجموعة من السمات هى :

- ١ - نسبية الثقافة Cultural Relativity، فالبرغم من كونها ظاهرة اجتماعية فى كل المجتمعات الإنسانية، إلا أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة التى توضح طريقته فى الحياة.
- ٢ - استمرارية الثقافة حيث أن السمات الثقافية لديها القدرة الكبيرة على الانتقال عبر الزمن، ومن جيل

(١) سامى خنينة، مصطلحات فكرية، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ط١، ١٩٩٤م، ص ٣٢٣.

(٢) إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ص ٢٠٠.

إلى الجيل الذى يليه.

٣- اعتماد الثقافة على وجود الرموز Symbols مثل اللغة، حيث يستطيع الإنسان أن يتعلم الثقافة وأن يكتسبها من خلال استخدامه لهذه الرموز.

٤- الثقافة مكتسبة حيث يكتسب الإنسان عناصر الثقافة بالتعلم من المجتمع الذى يعيش فيه^(١).

ولما كانت المفاهيم التى قدمت للثقافة قد جاءت فى غالبيتها متأثرة بذلك المفهوم الذى صاغه "تايلور" وهو ما دعى بعض الباحثين إلى التأكيد على أن هذا المفهوم يشتمل على أربعة خصائص رئيسية تتمثل فيما يلى :

١- الثقافة كمجموعة من المعطيات الفكرية والعاطفية والمادية.

٢- التشكيل كسمة رئيسية فى الثقافة والذى يختلف قوة ومرونة حسب الحالات المختلفة.

٣- التعلم على أساس أن ما هو ثقافى لا يورث بيولوجياً، وإنما عن طريق الاستيعاب الذى يجعل الثقافة "إراثاً اجتماعياً".

٤- المشاركة باعتبار أن المعيار الأساسى للظواهر الثقافية هو اشتراك مجموعة من الباحثين فى الموقف منها^(٢).

ويشير الباحث إلى أنه بالنظر إلى هذه الخصائص والسمات التى تميز الثقافة بشكل عام، يمكن تمييز بعض الخصائص والسمات التى تميز الثقافة السياسية باعتبارها جزءاً من الثقافة العامة للمجتمع، وهذه الخصائص تتمثل فى الآتى :

١- أن الثقافة السياسية مكتسبة، حيث يكتسب الأفراد عن طريق التعلم والاستيعاب، القيم والاتجاهات والمعارف السياسية السائدة فى المجتمع.

٢- أن الثقافة السياسية تراكمية، حيث أنها تعبر عن إرث اجتماعى يتناقله الأفراد عبر الأجيال ويتوارثونه عبر العصور.

٣- أن الثقافة السياسية نسبية، فهي تختلف من مجتمع إلى آخر، كما تختلف من جماعة إلى أخرى داخل نفس المجتمع.

٤- أن الثقافة السياسية تعتمد على الرموز سواء كانت هذه الرموز أشياء مادية أو معنوية أو أشخاص يحتلون مكانة بارزة فى النسق السياسى.

٥- تتميز الثقافة السياسية بالتعقيد، وهذا يرجع إلى ما يميزها من سمات وخصائص وعناصر متعددة.

وعند تناول الثقافة السياسية بالتحليل يتضح أن لها مجموعة من الأبعاد تحدد إلى حد كبير عناصر ومكونات هذه الثقافة. وفى هذا الاتجاه يشير أحد الباحثين إلى أنه باعتبار الثقافة كنسق System تتكون من ثلاث أبعاد أساسية هى :

١- الجوانب الإدراكية Cognitive : وتشمل نسق المعرفة الذى يتدرج من المعتقدات إلى التكنولوجيا.

٢- الجوانب المادية Material : وتشمل الأدوات والآلات واللعب والسيارات وغيرها من الأشياء

(١) طلعت إبراهيم لطفي، مدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٧ ، ٦٨.

(٢) سهير جاد، سامية أحمد على، البرامج الثقافية فى الراديو والتلفزيون، القاهرة: دار الفجر، ط١، ١٩٩٧م، ص٤٦.

المادية التي تستخدم في تشكيل وتغير البيئة.

٣- الجوانب المعيارية Normative : وتتضمن المعايير أو القواعد التي تنظم السلوك، كما تتضمن القيم أو الأفكار النهائية المجردة حول ما هو صواب وما هو خطأ، بالإضافة إلى الجزاءات والمكافآت والعقوبات التي تطبق بشكل رسمي أو غير رسمي لفرض الامتثال للمعايير وضبط السلوك المنحرف^(١).

ومن هذا المنطلق يشير "جبريل الموند" إلى أن الثقافة السياسية تحتوى على ثلاثة أبعاد رئيسية :

أ - جانب قمعي : يتكون من المعارف حول النظام السياسي.

ب- جانب عاطفي : وهو قائم على التعلق الشخصي بالزعماء والمؤسسات.

ج- جانب تقييمي : يتضمن الأحكام القيمية بشأن الظواهر السياسية^(٢).

ولقد قام بعض الباحثين بدمج هذه الأبعاد والجوانب، وقدّموا تصنيفاً لأنماط الثقافة السياسية حيث أشار "الموند" Almond و "بويل" Powell إلى أنه بتحليل المواقف السياسية يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط كبرى للثقافة السياسية تتبلور في الآتي:

أ - الثقافة الهامشية.

ب- ثقافة الخضوع.

ج- ثقافة المشاركة.

فالثقافة الهامشية تعرف بعدم الاهتمام تقريباً بالنظام السياسي والقومي، فالأفراد ليس لهم موقف خاص من هذا النظام، ولا يحملون أي مشاعر تجاهه، بل يهتمون بالسياسة المحلية. أما ثقافة الخضوع فإن السلطة القومية تكون أكثر حضوراً حيث أن الأفراد يعرفون أفعالها ولديهم موقف تجاهها، لكن هذا الموقف سلبي أساساً، حيث أن فكرة وجود عمل فردي أو جماعي من شأنه التأثير على السلطة هي فكرة غريبة في هذا النوع من الثقافة. في حين أن ثقافة المشاركة تعرف من خلال فعالية المواطنين وشعورهم بأنهم قادرون على التأثير على السلطة، وأن هذا التداخل من جانب المواطنين في الحياة العامة يتجلى من خلال مؤسسات كالانتخابات، أو الأحزاب، أو جماعات الضغط^(٣).

ويشير البعض^(٤) في إطار تناوله لأشكال وأنماط الثقافة السياسية، إلى أنه على الرغم من هذا التقابل اللفظي بين نماذج الثقافة السياسية الثلاثة فالواقع أن ثقافة سياسية ما لا تطرد السابقة بل تأتي لتوضع فوقها، فكل ثقافة تتضمن عناصر محلية [هامشية أو رعائية]^(*)، وعناصر تبعية [خضوع]^(**)، ومشاركة. وتتأثر مختلف

(١) طلعت إبراهيم لطفي، مدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٩ ، ٧٠.

(٢) مورييس دوفر جيه، علم اجتماع السياسة، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٣) جان ماري دانكان، علم السياسة، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، بيروت: المؤسسة الجامعية، ١٩٩٧م، ص ١٥٧.

(٤) جان بيركوت، جان بيير مونييه، عناصر من أجل علم اجتماع سياسي، الجزء الأول، ترجمة: انطوان حمص، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٤م، ص ٣٦٣.

(*) يطلق البعض على الثقافة الهامشية اسم الثقافة الرعائية والبعض الآخر الثقافة المحلية :

- مورييس دوفر جيه، مرجع سابق، ص ٩٣.

- جان بيركوت، جان بيير مونييه، عناصر من أجل علم اجتماع سياسي، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

(**) كما يطلق البعض على ثقافة الخضوع اسم ثقافة التبعية :

- جان بيركوت، وجان بيير مونييه، عناصر من أجل علم اجتماع سياسي، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

قطاعات السكان بانتشار ثقافة جديدة بصورة مختلفة، فيمكن أن تجد في دولة نخبة مطبوعة بثقافة مشاركة سياسية، في حين تبقى الجماهير الريفية متعلقة بثقافة سياسية محلية، فضلاً عن ذلك فإن الاتجاهات السياسية لكل فرد تبقى معقدة وموزعة بين المحلية والتبعية والمشاركة. فسواء كانت الثقافة بسيطة جداً أو بدائية، أو كانت على أعلى درجة من التعقيد والتطور، فإنها تعتبر مادية في جانب منها، وإنسانية في جانب ثان، وروحية من جانب ثالث، ويكون الإنسان بواسطتها متمكناً من التغلب على المشكلات الملموسة التي تواجهه^(١). وهذا يعنى أن نماذج الثقافة السياسية تلك قد توجد بأنماطها الثلاثة في مجتمع واحد.

وتتكون الثقافة السياسية من مجموعة من العناصر والمكونات، وفي هذا الإطار أظهرت الأعمال الرائدة "لالموند" و "فيربا" و "إنكيليس" و "سميث" أن الدول تختلف بشكل ملحوظ في أنماط معتقداتها وقيمها ومواقفها الوثيقة الصلة بالسياسة، وأن عناصر الثقافة السياسية هذه تتحدد بوضوح في الدول في إطار التجارب الحياتية والتعليم والطبقة الاجتماعية^(٢). ويرجع هذا الاختلاف بالدرجة الأولى إلى اختلاف العناصر والمكونات التي تتألف منها الثقافة السياسية في أى مجتمع من المجتمعات.

ويشير "نبيل السمالوطي" في إطار تناوله للثقافة السياسية إلى أنها تشتمل على جانبين أساسيين^(٣) هما :

أ - القيم والاتجاهات والأفكار السياسية.

ب - السلوك السياسى من جانب المواطنين والقيادات.

وإذا ما تم التساؤل عن الكيفية التي ترتبط بها تلك القيم والاتجاهات مع السلوك السياسى للأفراد. نجد بعض الباحثين يقدم إجابة على ذلك التساؤل حيث يؤكدون على أن القيم ترتبط بالسلوك السياسى من خلال شعور المواطنين والقيادات نحو تلك القيم بالارتباط الانفعالى القوي، كما أنها توفر لهم مستوى للحكم على الأفعال والأهداف الخاصة، ولذلك تصنع القيم مجموعة المستويات العامة للسلوك والتي تكون المعايير الاجتماعية لها، هي التعبير الواضح والملموس على أن الطبيعة العامة التي تتميز بها القيم تجعل من الممكن للأفراد الذين يشتركون في نفس القيم -المواطنين والقيادات- أن يختلفوا على بعض المعايير المندرجة تحتها، وتعتبر العدالة والحرية والمواطنة أمثلة على تلك القيم^(٤).

بينما يرى "روبرت داهل" Robert Dahl أن العناصر التي تتألف منها الثقافة السياسية هي :

- ١ - التوجهات الخاصة بمحل المشكلات : هل هي تنحى نحو الزعة البرهمانية أم العقلانية ؟.
- ٢ - التوجهات نحو السلوك الجمعى : هل تتسم بالتعاونية أم أنها ليست تعاونية؟.
- ٣ - التوجهات نحو النسق السياسى : هل تتميز بالولاء أم أنها تتسم باللامبالاة؟.
- ٤ - التوجهات نحو الأشخاص الآخرين : هل تغلب عليها الثقة أم تخلو من الثقة؟^(٥).

(١) سامية محمد جابر، علم الإنسان، مدخل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، بيروت: دار العلوم العربية، ط١، ١٩٩١م، ص ١٧.

(٢) لارى دايونند، مصادر الديمقراطية، مرجع سابق، ص ٩.

(٣) نبيل السمالوطي، بناء القوة والتنمية السياسية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٨م، ص ٣٤.

(٤) عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام والثقافة السياسية، في ندوة الثقافة السياسية والممارسة الديمقراطية، القاهرة: الجمعية المصرية للعلوم السياسية ومؤسسة فريد ريش ليرت،

نوفمبر ١٩٨٧م، ص ١.

(٥) محمد على محمد، أصول علم الاجتماع السياسى، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠م،

ويضيف أحد الباحثين^(١). بعض المكونات الأخرى للثقافة السياسية :

أ - المرجعية : وتعني الإطار الفكري الفلسفي المتكامل أو المرجع الأساسى للعمل السياسى.

ب- التوجه نحو العمل العام : هذا أن الشعور بالمسئولية يدفع المواطن إلى الإيجابية والتعامل مع القضايا والموضوعات فى ظل ثقافة متشابهة مؤداها الإحساس بالولاء الاجتماعى.

ج- الإحساس بالهوية : حيث أن شعور الأفراد بالولاء تجاه النظام السياسى يساعد على إضفاء الشرعية على ذلك النظام، ويساعد على بقاءه وتخطيه الأزمات والمصاعب التى تواجهه.

(ج) التنشئة وعلاقتها بالثقافة السياسية :

ترتبط الثقافة السياسية -باعتبارها أحد أشكال الثقافة العامة للمجتمع- بعملية التنشئة الاجتماعية والسياسية ارتباطاً عضوياً، حيث أن الثقافة هى المحيط العام الذى تتفاعل فيه عملية التنشئة وتستمد منها مضمونها الاجتماعى والسياسى.

وانطلاقاً من أن التنشئة هى العملية التى يكتسب من خلالها الفرد المهارات والسلوكيات اللازمين للحياة الاجتماعية، وهذه العملية تنعكس على ثقافة الطفل^(٢). حيث يتعلم الأفراد من خلالها كيفية التكيف مع الجماعة عن طريق اكتساب السلوك الاجتماعى الذى اتفقت عليه تلك الجماعة^(٣). هذا السلوك الذى يمثل أحد مكونات الثقافة باعتبارها ذلك الكل المعقد الذى يشتمل على القيم والاتجاهات والأخلاق والفنون والآداب وأنماط السلوك، وكل ما يكتسبه الإنسان باعتباره عضواً فى المجتمع، يمكن القول أن "الثقافة لا يمكن أن تشكل الشخصية وتصورها إلا عن طريق التنشئة الاجتماعية، والتى من خلالها يتم إدماج الطفل فى الإطار الثقافى العام عن طريق إدخال Internalization التراث الثقافى فى تكوينه وتوريثه له بتعليمه نماذج السلوك المختلفة وغرس المعتقدات الشائعة فى المجتمع الذى ينتسب إليه"^(٤).

فالتراث الثقافى يعتمد على توصيل المعلومات والقيم والمعايير الاجتماعية من جيل إلى جيل آخر، ومن أعضاء فى الجماعة إلى أعضاء جدد انضموا إليها^(٥). فكل تنظيم إنسانى -سواء كان جماعة أو مؤسسة أو مجتمعاً محلياً أو تجمعاً- يطور معانى وقيم وقواعد سلوكية وأدوات تساعد على تحقيق أهدافه وحل مشكلاته وينتج عن هذه النشاطات ما يسمى بالثقافة^(٦). هذه النشاطات تتسم بالاستمرارية حيث تنقل من جيل إلى جيل ويتم ذلك عن طريق عملية التنشئة التى تتولى عملية غرسها عبر الأجيال.

ويتبين من هذا أن هناك علاقة قوية بين الثقافة بوجه عام، وبين عملية التنشئة، باعتبارها الوسيلة التى من خلالها يكتسب الفرد ثقافة مجتمعه، فالثقافة تبدأ بمجموعة من القيم والتوجهات التى ترتبط بعملية التنشئة

(١) السيد علوبة، من محمود، المشاركة السياسية، مرجع سابق، ص ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(2) Perrucci, Robert, and, Knudsen Dean, "Sociology" West Publishing Co., New York, 1983, p. 146.

(3) Gould, Julius, and, Kolb William L. (Eds) "A Dictionary of the Social Sciences" Tavistock Publications, London, 1964, p. 672.

(٤) سامية حسن الساعى، الثقافة والشخصية، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٥) محمد منير حجاب، الإعلام والتنمية الشاملة، القاهرة: دار الفجر، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٣٢.

(٦) إبراهيم عثمان، مقدمة فى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٥٥.

الاجتماعية وأهدافها، ويختار المجتمع آليات لهذا الغرض تسهم معاً في تشكيل نمط شخصية وهوية تنسجم مع ثقافة الجماعة، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج الثقافة بنقلها إلى الجيل الجديد، وتمثل استدماج هؤلاء معها^(١). وهذا المعنى فالثقافة هي محصلة التفاعل القائم بين الفرد والمجتمع والبيئة، وهي ثمرة علاقة الفرد بالفرد، وبالزمن وبالمكان. فكما أن الفرد يولد داخل مجتمع ما، فهو يولد أيضاً داخل ثقافة خاصة، تشكله هذه الثقافة وهو بدوره يشكلها، فإنتاجه بناء لها ومقوماتها إطاراً له^(٢).

ولقد تأثر بعض الباحثين الأوائل في مجال التنشئة الاجتماعية والسياسية بأعمال الباحثين في مجال دراسة الثقافة الإنسانية، وأفكارهم عن عملية التنشئة، حيث كان هؤلاء الباحثين من بين الباحثين الأوائل الذين درسوا التنشئة كأساس لفهم الاختلافات في الشخصية، والقيم والسلوك الاجتماعي بين أعضاء المجتمعات المختلفة. ولقد تأثرت الأعمال المبكرة هؤلاء الباحثين بافتراضات "فرويد" Freud عن تطور الشخصية والعلاقة بين الإنسان ومجتمعه، فالتنشئة أثناء مرحلة الطفولة والتي غالباً ما يشار إليها بتربية الطفل وتدريبه، كان ينظر إليها على أساس أنها آلية Mechanism يمكن من خلالها السيطرة على نزعات الطفل غير الاجتماعية. فالطفل يتعلم من خلال التنشئة التقنية الموجودة بمجتمعه، ويتم تقديمه للفنون الثقافية والتقاليد السائدة في المجتمع، كذلك حقوقه وواجباته ويصبح جزءاً من العلاقات الاجتماعية، وكما أشار "جورج هيربرت ميد" George H. Mead فإن ذات الفرد تتشكل كنتائج أساسية من نتائج تنشئته^(٣).

وإذا ما تم الإشارة إلى الدور الذي تلعبه عملية التنشئة الاجتماعية في تشكيل ثقافة الفرد، فيمكن القول أن الفرد في أي مجتمع ما يتعلم من خلال التنشئة الأنماط السلوكية لذلك المجتمع، واستيعابه لها وجعلها قواعد حياته الشخصية^(٤). وبالتالي فإن عملية التنشئة تصبح ضرورية من أجل نمو الوعي القومي وتكوين الهوية، ولذلك فهي تؤدي وظيفتين هما: نقل التراث الاجتماعي وابتكار الشخصية^(٥). هذا التراث الاجتماعي هو في حد ذاته جزء من التراث الثقافي للمجتمع وعلى ذلك فإن التنشئة الاجتماعية تعمل على ابتكار الشخصية من خلال إكسابها للقيم والمعايير وأنماط السلوك، ومن هنا تتكون هوية الفرد وينمو وعيه القومي. " فدور التنشئة في تكوين البناء الثقافي للطفل هو الذي يحدد مدى استمرارية ثقافة المجتمع وهويته، ومدى قوة تلك الثقافة وتلك الهوية أو ضعفها أو تذبذبها، وهو ما يجعلنا قادرين إلى حد كبير على التنبؤ بمستقبل الهوية الثقافية التي تشير إلى الذاتية المتميزة للمجتمع والمميزة له عما سواه من المجتمعات " ^(٦).

وينظر علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى عملية التنشئة داخل المجتمع على أنها تدريب هؤلاء الصغار الذين لم يصلوا بعد إلى مرحلة النضج من أجل التأهيل إلى أداء وتقليد أدوار محددة^(٧). فمحتوى عملية التنشئة يشمل أنواع من التعليم يتسم أكثرها بالصعوبة، حيث يتطلب مهارات خاصة حتى يصبح الفرد عضواً في المجتمع، وهذا يشمل القدرة على الشرب والأكل والحديث والسيطرة على عملية الإخراج^(٨). كما يشمل

(١) إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٨٦.

(٢) فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٥.

(٣) ريتشارد داوسن وآخرون، التنشئة السياسية، مرجع سابق، ص ٥٧، ٥٨، ٥٩.

(4) Rocher, Guy "A General Introduction to Sociology, A Theoretical Perspective" Macmillan Company Ltd. Canada, 1972, p. 40.

(5) Droom, Leonard, and Others "Sociology, A Text With A Daped Readings" Seventh Edition, New York, 1981, p. 84.

(٦) إيناس حسن على، دور التنشئة في تكوين هوية ثقافية للطفل المصري، مرجع سابق، ص ب.

(٧) حنان محمد مصطفى، الثقافة الشعبية وأثرها على التنشئة الاجتماعية للطفل، مرجع سابق، ص ٢٣.

(8) Goode, William J. "The Family" Second Edition, Prentice. Hall, Inc., Englew Wood Cliffs, New Jersey, 1982, p. 86.

إدماج مختلف أنماط الثقافة بألوان السلوك المختلفة كالذهاب إلى مدرسة..، وذلك أن كل مجتمع وكل طبقة اجتماعية لديها -إلى مدى محدد- مجموعة من الأنماط التي تتيح للفرد أن يكون آمناً في حياته، داخل حدود اجتماعية معينة، تمثل على الأقل الحد الأدنى للتجانس في السلوك مع الذين يعيش بينهم^(١). فالإنسان منذ أن يولد وعبر مراحل نمو مختلفة يكتسب عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية -من الأسرة إلى المدرسة إلى جماعة الرفاق إلى المجتمع الأكبر الذي يعيش فيه ويتفاعل معه- ثقافة مجتمعه. وعلى هذا الأساس يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية لها علاقة قوية بالثقافة، وهذا ما يؤكد "محمد صلاح" إذ يرى أن الإنسان يكتسب ثقافة مجتمعه عن طريق التنشئة الاجتماعية socialization أى نقل ثقافة المجتمع إلى الأجيال الناشئة فيه عن طريق أساليبها المتعددة^(٢). وعلى هذا يتبين مدى تأثير التنشئة الاجتماعية في الثقافة، لكن ما هو تأثير الثقافة في التنشئة الاجتماعية؟.

باعتبار الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتميز بأنه حيوان ذو بناء ثقافي culture building animal، وينظر علماء الاجتماع إلى الثقافة على أنها الجزء الذي أوجد الإنسان في البيئة The man-made part of the enviroment^(٣). فالإنسان منذ أن يولد وهو يعيش في بيئة اجتماعية تحكمها قواعد وقيم وعادات وأنماط سلوك Behavior patterns تمثل في مجموعها البناء الاجتماعي لمجتمعه، والتي من خلالها يمكنه التفاهم والتفاعل مع من يعيشون معه في تلك البيئة. فالثقافة وكما يعبر "بندكت" تقدم للفرد المادة الخام التي يصيغ منها حياته^(٤). فالآباء والأمهات يستخدمون طرقاً تقليدية في إحاطة أطفالهم بالرعاية اللازمة، وهي طرق تشمل نظام التغذية، والتدريب على النظافة الذاتية، واللعب، والسلوك داخل المنزل، وإزاء الوالدين، وما شاكل ذلك من أمور يعتقد معظم الآباء والأمهات أنهم يعالجونها على نحو صائب^(٥).

فالثقافة ذات أهمية كبرى في عملية التنشئة، وذلك من خلال تأثيرها على الفرد والمجتمع، ويتجلى هذا التأثير في مجموعة من النقاط^(٦). تتمثل في الآتي:

- ١ - تكسب الثقافة أفراد المجتمع شعوراً بالوحدة وتهيئ لهم سبل العيش والعمل دون إعاقة أو اضطراب.
- ٢ - تمد الأفراد بمجموعة من الأنماط السلوكية فيما يتعلق بإشباع حاجاتهم البيولوجية.
- ٣ - تمد الأفراد بمجموعة من القوانين والأنظمة التي تتيح لهم سبل التعاون والتكيف مع المواقف الحياتية، وتيسر التفاعل الاجتماعي دون حدوث نوع من الصراع.
- ٤ - تجعل الفرد يقدر الدور التربوي الذي تقوم به ثقافته وإدراك الدور الذي تقوم به، خاصة إذا اختبر ثقافة أخرى غير ثقافته.

(١) زيدان عبد الباقي، ركائز علم الاجتماع، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٣م، ص ١٦٤، ١٦٣.

(٢) محمد صلاح بسيوي، محاضرات في الثقافة والشخصية، القاهرة: غير محدد دار النشر، ١٩٨٠م، ص ٥٣.

(٣) أبو السعود إبراهيم، الأنماط الثقافية لعمال الصناعة وأثرها على المشاركة في صنع القرار، دراسة ميدانية في مصنعين بمدينة سوهاج، رسالة ماجستير، آداب سوهاج، ١٩٨٤م، ص ٣٧.

(٤) عبد الهادي الجوهري، أصول علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٩٥.

(٥) محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام كيف يقاس؟ وكيف يساس؟ وكيف يتكون؟ كيف يتنبأ؟ كيف يتطور؟، القاهرة: الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٧٢م، ص ٨٠.

(٦) إبراهيم ناصر، التربية وثقافة المجتمعات، تربية المجتمعات، عمّان: دار الفرقان، ط ٣، ١٩٨٣م.

- ٥ - تقدم للفرد مجموعة من المثيرات الثقافية التي عليه أن يستجيب لها بالطرق العادية الموجودة في ثقافته.
- ٦ - تقدم للفرد تفسيرات تقليدية مألوفة للعديد من المواقف والتي على ضوءها يحدد شكل سلوكه، من خلال توفيرها المعاني والمعايير التي يميزون بها بين صحة الأشياء والأحداث أو خصائصها.

فالثقافة كما يرى "طاهر الخاقاني" من الجهات المؤثرة على المجتمع، وعلى الفرد أيضاً لأنه حلقة من تلك السلسلة، فإذا جاء الفرد إلى عالم ثقافي غير ما كان عليه سابقاً، نجده يلمس الصعوبة في أن يتكيف مع تلك الثقافة^(١).

ومن خلال العرض السابق يستخلص أن هناك علاقة وثيقة تربط بين الثقافة بشكل عام والثقافة السياسية على الأخص، وبين التنشئة الاجتماعية والسياسية للأفراد، حيث تعد الثقافة المحيط الذي تتفاعل فيه هذه التنشئة وتستمد مضمونها الاجتماعي والسياسي، فالعلاقة بينهم علاقة عضوية، فكلتا هاتين تؤثر وتتأثر بالأخرى. فالتنشئة تؤدي إلى استمرار وبقاء الثقافة، ونقلها عبر الأجيال، والثقافة تحدد المعايير التي تستمد منها التنشئة مضمونها وأساليبها.

وفي هذا الاتجاه يؤكد "كاردنر" أن هناك علاقة هامة ومستمرة بين التنشئة والتراث الثقافي، وهي علاقة أشبه بمشكلة أيهما نتج عن الآخر، البيضة أم الدجاجة. فالدجاجة وكما يشير هي الأطفال الذين يتم تنشئتهم في المجتمع بوسائل وأساليب معينة ناتجة عن التركيب الدفين للتراث الثقافي، والبيضة هي التركيب الدفين للتراث الثقافي الذي ينتج عن الوسائل والأساليب المعينة التي تتم بها تنشئة أطفال جيل آخر في هذا المجتمع^(٢). كما يؤكد على تلك العلاقة ما أشار إليه "جمال السيد" في كون التنشئة السياسية للأفراد هي العملية التي من خلالها يتم المحافظة على الثقافة السياسية للأمة، إلى أنها تحول الثقافة من الجيل القديم إلى الجيل الجديد، وتنقل الثقافة السياسية لغالبية السكان أو جزء منهم ليمارسوا السياسة^(٣).

وبناءً عليه يتضح عمق العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والسياسية وبين الثقافة السياسية السائدة في المجتمع.

(د) الثقافة السياسية وأثرها في المشاركة السياسية :

تتضح أهمية دراسة الثقافة بالنسبة لعلم الاجتماع من خلال أنه لا يمكن فهم اختلاف سلوك الجماعات التي تنتمي إلى مجتمعات مختلفة، دون دراسة ثقافة هذه المجتمعات^(٤). حيث تمارس الثقافة خاصة في جانبها السياسي تأثيراً كبيراً في توجيه سلوك الأفراد. وهو ما دفع "لينتون" Linton إلى التقرير أن ما يعتقده فرد معين وما يفعله وكذلك أساليب استجابته لمختلف المثيرات في بيئته، يتوقف على الثقافة التي يشب في ظلها الفرد^(٥).

وعن التأثير الذي تمارسه الثقافة السياسية على المشاركة السياسية للأفراد، يرى بعض الباحثين أن الثقافة السياسية تؤثر على علاقة الفرد بالعملية السياسية، فبعض المجتمعات تتميز بقوة الشعور والولاء الوطني

(١) محمد محمد طاهر الخاقاني، علم الاجتماع بين المتغير والثابت، القسم الأول، بيروت: منشورات دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٨٧م، ص ٢٤٤.

(٢) محمد عبد القادر حاتم، الرأي العام، مرجع سابق، ص ٨٢.

(٣) جمال السيد إبراهيم، دور وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياسي في العالم الثالث، مرجع سابق، ص ٣٧، ٣٨.

(٤) طلعت إبراهيم لطفي، مدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦١.

(٥) سيد صبحي، الإنسان وسلوكه الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٦٢.

والمواطنة والمسئولية. وهنا يتوقع أن يشارك الفرد في الحياة العامة، وأن يساهم طواعية في النهوض بالمجتمع الذى ينتمى إليه. وفي دول أخرى يتسم الأفراد باللامبالاة والاغتراب وعدم الشعور بالمسئولية تجاه أى شخص خارج محيط الأسرة وفي بعض الأحيان ينظر الأفراد إلى النظم السياسية نظرة شك وعدم ثقة، ويعتبرها مجرد أداة لتحقيق مصالح القائمين عليها^(١). وعلى هذا الأساس يمكن القول أن طبيعة المجتمعات وما يسودها من ثقافة سياسية تؤثر بشكل كبير على علاقة الفرد بالنظام السياسى وعلى اتجاهه نحو المشاركة السياسية، والى يعتبرها كثيراً من الباحثين من أهم العمليات السياسية. وهو ما دعى "دانييل ليونر" Daniel Leaner إلى التأكيد على أنها من المحددات الهامة التى تحدد موقع المجتمعات الانتقالية بين المجتمعات التقليدية والحديثة^(٢). ويتوقف ذلك إلى حد كبير على طبيعة الثقافة السياسية السائدة فى تلك المجتمعات ويظهر ارتباط الثقافة السياسية بالمشاركة كما أشار Walter Rosenbaum، حينما تعمل هذه الثقافة على تكوين الاتجاهات والمعتقدات والعواطف التى تدفع الأفراد إلى المشاركة فى العمليات السياسية المختلفة، كما أنها تحدد القواعد التى تحكم هذه المشاركة، بالإضافة إلى أنها تعمل على تحقيق تقبل الناس للنظام السياسى، ويتم ذلك من خلال مد الأفراد بالمعرفة والمعلومات عن النظام وتبرير شرعية وجوده^(٣).

وفى هذا الاتجاه تؤكد "إيمان نور الدين" أن كل نظام سياسى يحتاج إلى ثقافة سياسية معينة تغذيه وتحافظ عليه وتضمن استقراره، فالحكم الفردى تلائمه ثقافة سياسية تتمحور عناصرها فى الخوف من السلطة وطاعتها، مع ضعف الميل للمشاركة وفقر الإيمان بكرامة وذاتية الإنسان، وعدم السماح بالمعارضة، وفى المقابل يتطلب الحكم الديمقراطى ثقافة ديمقراطية تؤكد على حرية الفرد وذاتيته وكرامته، وبأن له حقوقاً لا يمكن للسلطة الحاكمة أن تنال منها، بالإضافة إلى شعور بالثقة والاقتران السياسى بين الأفراد، وتحتاج الديمقراطية أيضاً إلى التزام أصيل وراسخ باحترام قواعد اللعبة السياسية، أو قواعد التنافس السياسى^(٤).

ويمكن الحكم على تأثير الثقافة السياسية فى المشاركة السياسية من حيث الدرجة والمستوى من خلال عملية الوعى السياسى Political consciousness والذى تشكله الثقافة السياسية، عن طريق إكساب الفرد القيم والاتجاهات والمعايير السياسية السائدة فى المجتمع. "فالوعى السياسى للمواطنين يعتمد على درجة الثقافة والتعليم التى وصل إليها أفراد الشعب، حيث تؤهل الثقافة والتعليم الشعب للمشاركة الإيجابية"^(٥).

وانطلاقاً من أن الوعى السياسى هو مجموعة من القيم والاتجاهات والمبادئ السياسية التى تتيح للفرد أن يشارك مشاركة فعالة فى أوضاع مجتمعه ومشكلاته، يحللها ويحكم عليها ويحدد موقفه منها ويدفعه إلى التحرك من أجل تطويرها وتغييرها^(٦). وأنه يعنى معرفة المواطن لحقوقه السياسية وواجباته وما يجرى حوله من أحداث ووقائع، وقدرته كذلك على التصور الكلى للواقع المحيط به كحقيقة كلية مترابطة وليس كوقائع جزئية وأحداث

(١) السيد عليوة، من محمود، المشاركة السياسية، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) فؤاد أبو حطب، الكتاب السنوى فى علم النفس، المجلد السادس، القاهرة: الأجلو المصرية، ١٩٨٩م، ص ص ١٥١، ١٥٢.

(٣) السيد شحاتة، دور الثقافة السياسية فى مواقف الشباب نحو العمل السياسى، مرجع سابق، ص ١٧٥.

(٤) إيمان نور الدين أمين، دور المدرسة فى التنشئة السياسية، دراسة حالة مقارنة بين المدارس الحكومية والمدارس الخاصة، رسالة ماجستير، الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة، ١٩٩٠م، ص ص ١٤، ١٥.

(٥) عاطف عدلى العبد، رأى العام وطرق قياسه، الأسس النظرية - الجوانب المنهجية - النماذج التطبيقية - التدريبات العملية، القاهرة: دار الفكر العربى، ٢٠٠٠م، ص ٤٢.

(٦) على أسعد وطيفة، التحديات السياسية والاجتماعية فى الكويت والوطن العربى، بحث فى مضامين الوعى السياسى عند طلاب جامعة الكويت، سلسلة عالم الفكر، عدد ٣، المجلد

٣١، الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ٢ يناير/مارس، ٢٠٠٣م، ص ٧١.

متناثرة. يشير "صابر عبد ربه" إلى أن التغيرات العالمية الراهنة والتي شهدتها المجتمع الإنساني منذ التسعينات من القرن العشرين بما تشمله من تسييس العالم وتربط أجزائه وتعقد مشكلاته وقضاياها، جعلت من قضية الوعي السياسى ودور الفرد فى المجال السياسى، واحدة من أهم القضايا التى ينبغى على الفكر السياسى والاجتماعى الاهتمام بها، خاصة وأن هناك من يتحدث عن وعى كئوى أو ثقافة كئوىة Global culture فى إطار الثورة التكنولوجية المعاصرة بما يعنى اتساع دائرة الوعي السياسى اللازمة لتفاعل الفرد مع المتغيرات السياسية العالمية الراهنة، حيث لم يعد مفهوم الوعي السياسى قاصراً على مجرد معرفة الفرد لقضايا مجتمعه، ومشاركته فى الأنشطة السياسية داخل هذا المجتمع. بل امتدت لتشمل ضرورة الوعي بما يجرى من أحداث ووقائع على المستوى العالمى، تلك القضايا التى أصبح لها أثرها المباشر على حياته ومعيشتة فى إطار ما يسمى بالنظام العالمى الجديد New World Order وعملية العولمة السياسية Political Globalization، وكيف يتمكن من التأثير فى مجريات الأحداث العالمية التى تؤثر فى حياته^(١). فالوعى السياسى يتكون من خلال إدراك الفرد لما يسود المجتمع من معرفة سياسية، فهو يمثل الجانب الخاص بالمعلومات والمعرفة السياسية وهى جانب من الثقافة السياسية التى تحوى أيضاً القيم والاتجاهات والمعايير والأفكار السياسية، وهذا يعنى أنه إذا كان للوعى السياسى أثر فى المشاركة السياسية، فإن للثقافة السياسية الأثر الأكبر فى هذه المشاركة^(٢).

وتؤثر الثقافة السياسية فى عملية المشاركة السياسية فى جانب آخر وهو ما يتعلق بدرجة التجانس الثقافى، وانعكاس هذا التجانس على الاستقرار السياسى. فالثقافة المشتركة تعطى الإنسان شعور بالانتماء وذلك لأنها تربط الأفراد معاً فى جماعة واحدة يشعرون فيها بالتوحد والاندماج فالتجانس الثقافى والتوافق بين الجماعات المكونة للمجتمع يساعدان على الاستقرار، أما التجزئة الثقافية والاختلاف بين الجماعات فى المجتمع فيمثلان مصدراً لتهديد استقرار النظام السياسى^(٣). وهو ما ينعكس على مشاركة الأفراد على العملية السياسية.

ويشير William Kornhauser فى هذا الاتجاه إلى أنه يتوجب على المجتمع الديمقراطى ألا يكون مرتبطاً بقمع عنيف للاختلاف الثقافى طالما أن الحقوق المتساوية لا تختلط بمحو كل الفروق الاجتماعية.. فالتعددية الاجتماعية تنتج وتحدث التباين فى الثقافة وأمور السياسة^(٤). حيث أن بعض الأنظمة السياسية فى سبيل سعيها لتحقيق الاستقرار قد تلجأ إلى العنف والقمع تجاه أى حركات تمرّد نابعة من ثقافة معينة تغذيها. وعن هذه النقطة يرى "محمد على" فى إطار تناوله لثقافة الشباب أن النظام السياسى فى سعيه لقمع حركات الرّفص والتمرد من جانب الشباب قد يلجأ إلى العنف وذلك لتوفير مناخ السلام الاجتماعى^(٥). وهذا يدل على أن أى مجتمع يشتمل على اختلاف ثقافى ناتج عن تباين الطبقات الاجتماعية Social Class، لكنه فى نفس الوقت يؤكد أنه يتوجب على المجتمعات الديمقراطية وهى فى سبيل سعيها لتحقيق الاستقرار الاجتماعى والسياسى، ألا تعمل على قمع هذه الاختلافات الثقافية بين أفراد المجتمع والتى تحدد رؤية كلاً منهم للنسق السياسى وطبيعة علاقتهم به. وعلى هذا يتبين الأثر الذى تلعبه الثقافة السياسية فى التأثير على المشاركة السياسية من خلال إكسابها للقيم

(١) صابر محمد عبد ربه، الاتجاهات النظرية فى تفسير الوعي السياسى، مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) السيد شحاتة، دور الثقافة السياسية فى مواقف الشباب نحو العمل السياسى، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٣) إيمان نور الدين، دور المدرسة فى التنشئة السياسية، مرجع سابق، ص ١٥.

(4) Kornhauser, William "The Politics of Mass Society" Routledge and Kegan Paul, Ltd, London, 1968, p. 104.

(٥) محمد على محمد، الشباب والمجتمع، دراسة نظرية وميدانية، الإسكندرية: فرع الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص ٤٢.

والاتجاهات والمعتقدات السياسية التي تشكل الوعي السياسي للأفراد.

ولما كانت الدراسة قد تناولت العلاقة بين الثقافة السياسية وعملية التنشئة، وأثر هذه الثقافة على المشاركة السياسية فسوف يحاول الباحث إبراز العلاقة التي تربط بين الثقافة السياسية والتنشئة والمشاركة السياسية، ليتضح من خلال هذا الارتباط العلاقة القوية التي تجمع بينهما، وأثر هذه العلاقة على إشكالية الدراسة الراهنة.

وفي هذا الاتجاه فإن دراسة عملية التنشئة هي دراسة كيفية تعلم الطفل إثبات عضويته في المجتمع، وممارسة الأحداث الاجتماعية ومعرفتها من الآخرين^(١). ولما كان السلوك السياسي للفرد في مرحلة النضج يتحدد جزئياً بمجموعات التنشئة التي يتلقاها في مراحل الطفولة والمراهقة، فالإنسان في مختلف مراحل حياته يعيش مؤسسات عديدة بعضها مفروض عليه وبعضها الآخر إرادى ينضم إليه طوعاً دون ما ضغط، وفي كل هذه المؤسسات يتلقى خبرات يختزنها في ذاكرته لتساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تحديد موقفه السياسي^(٢). فمؤسسات التنشئة الاجتماعية والسياسية تعمل على تلقين الفرد القيم والاتجاهات السائدة. وعلى هذا يشير "صابر عبد ربه" إلى أن السلوك السياسي **Political behavior** للفرد هو جزء من سلوكه العام باعتباره كائناً اجتماعياً يتفاعل مع المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في مجتمعه، والتي تشكل في مجملها عوامل مؤثرة ليس فقط في سلوكه السياسي بل وفي وعيه السياسي، وبالتالي يصبح من المستحيل فصل الفرد عن الوسط الذي يعيشه، والذي يعد مصدراً للمعرفة بالنسبة له^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن العلاقة القوية التي تربط بين الثقافة السياسية وبين التنشئة الاجتماعية والسياسية تنعكس سلباً وإيجاباً على اتجاهات الأفراد نحو المشاركة السياسية، وذلك من خلال أن الثقافة السياسية -وعبر مراحل التنشئة بمختلف مؤسساتها- تعمل على ربط الأفراد معاً في شعور واحد يتسم بالولاء والانتماء لمجتمعهم. وهو ما يؤكد أحد الباحثين بالقول بأن التنشئة تنمي لدى الجماهير الشعور بالولاء والانتماء، وخلق إحساس بالهوية القومية^(٤). وهذا يعكس مدى فاعلية التنشئة السياسية التي يتلقاها الفرد خلال مراحل حياته، والتي يكتسب عن طريقها القيم والمعتقدات والاتجاهات السائدة في المجتمع، والتي تظهر رؤية المجتمع والنظام السياسي القائم. فكانت مشاركة الفرد هي التعبير الواضح عن تلك التنشئة التي تحصل عليها، ومكنته من الوقوف إلى جانب النظام مؤيداً ومعارضاً له، أو عدم المبالاة به لسيادة قيم مخالفة لما هو قائم في المجتمع^(٥). ويرى "تيدتبر" Tedtapper أن هناك تفسيراً للعلاقة بين الثقافة السياسية التي تكونت خلال عملية التنشئة السياسية وبين المشاركة السياسية، وهذا التفسير ينظر إلى المشاركة السياسية باعتبارها نتيجة لما اكتسبه الفرد من الثقافة السياسية، فسلوك المشارك سياسياً يحتاج بالتأكيد إلى مهارات واستعدادات وعمليات تنشئة خاصة، تتكون من خلالها ثقافة سياسية تؤثر جميعها في تشكيل هذا السلوك^(٦).

(1) Cook- Gumperz, Jenny "Social Control and Socialization, A Study of Class Differences in the Language of Maternal Control" Routledge and Kegan Paul, Ltd, London, 1973, p.7.

(٢) عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في علم الاجتماع السياسي، مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) صابر محمد عبد ربه، الاتجاهات النظرية في تفسير الوعي السياسي، مرجع سابق، ص ٨، ٩.

(٤) صابر محمد عبد ربه، دور الأحزاب السياسية في التنمية في الدول النامية، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٥) جمال السيد إبراهيم، دور وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياسي في العالم الثالث، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٦) السيد شحاتة، دور الثقافة السياسية في مواقف الشباب نحو العمل السياسي، مرجع سابق، ص ١٢٦.

ويستخلص من العرض السابق أن هناك علاقة تربط بين الثقافة السياسية والتنشئة الاجتماعية والسياسية، وأن لهذه العلاقة تأثيرها على المشاركة السياسية للأفراد. فهناك علاقة عضوية تربط بين الثقافة السياسية والتنشئة من خلال أن الثقافة تعد هي المحيط الذى تستمد منه هذه التنشئة مضامينها الاجتماعية والسياسية، وأن الثقافة السياسية تتكون وتنقل من جيل إلى جيل عبر التنشئة هذا من جهة، وأن الثقافة السياسية وما يرتبط بها من وعى سياسى يكتسبه الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية والسياسية تساهم إلى حد كبير في دفع هؤلاء الأفراد نحو المشاركة الفعالة في العملية السياسية من جهة ثانية.